

روايات مصرجة الحيت

12

أرض الجنون

سافاري

www.dvd4arab.com
Hany3H

مقدمة

(سافارى) مصطلح غريب تم تحريفه عن كلمة
(سافريّة) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ (سافارى)
فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش فى أدغال
(إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافارى) التى سنقابلها هنا كانت
تصطاد للمرض فى القارة السوداء .. ووسط اضطرابات
سياسية لا تنتهى .. وبيئة معادية .. وأهال متشككين ..
بطلنا الذى سنقابلهُ دوماً ، ونألفه ، ونتعلم أن
نحبه هو د. (علاء عبد العظيم) .. شاب مصرى
مكل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيداً وسط
أدغال (الكامبيون) ، وفى بيئة غريبة وأمراض
أغرب وأخطار لا تنتهى فى كل دقيقة ..

وفى هذه الروايات نقرأ مذكرات د. (علاء) ..
نعيش معه ذلك العالم العجيب الذى لم تتجح الحضارة
فى تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والمسحرة
المجائنين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرتزقة الذين
لا يميزون .. وسارقى الأعضاء البشرية .. والعلماء
المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب عى
يظل حيا .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل
طبييا ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكامبيرون) ..
تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونلتقى
البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..



فلنتذكر ما حدث .. ١

يمكن القول دون خطأ كبير إن الكتيب السابق لهذا يحوى سلسلة لا تنتهى من الأحداث المتشابهة : فلان يجازف فى حماقة .. فلان يواجه هجوماً مريعاً غير متوقع .. علامات الاستفهام تتكاثر .. وهكذا ..

القصة كما عرفها من قرعوا الكتيب السابق : هى انفلات غير مسبوق فى سلوك الوحوش .. كلها لم تعد بالتهذيب السابق ، والاحترام القديم لتلك المعاهدة غير المكتوبة مع الإنسان ..

فى البدء كانت هجمات الفئران على القرى ، ثم جاء دور الضباع ، ثم بدأت الأسود تكسر عاداتها المتحفظة الخجول ، وتبدى ميلاً غريباً لاهحام مبنى (سافارى) .

بعد هذا جاء دور النصور التى تنقض من السماء لتقتلع العيون ، والوطاويط التى لا تتورع عن عض شفتك المسقلى دون مبرر واضح ، والثعابين التى

أخذت من قبو (سافاري) مسكنًا دائمًا .. لن أتحدث
هنا طبعًا عن العقارب التي تببت في براد الشاي ..

ويذب الذعر في وحدة (سافاري) ، ويطلب المدير
استدعاء صياد شديد المراس من أصل روسي هو
الرفيق (ماكسيم إيزاروفيتش منكوف) الذي يمكن
لضعاف الذاكرة أن يسموه (ميشكا) ..

إن (ميشكا) شديد المراس حقًا ، يتسلى بلعبة
الموت والحياة باعتبارها تمنحه أقصى درجات الإثارة
في عالم ممل بطبعه ، وميله إلى الصيد يعكس رغبة
سادية لاشك فيها ، بالإضافة إلى نزعة انتحارية
لا يتبينها غير طبيب نفسي ..

الحصار يستحكم حول (سافاري) ، وكما يحدث
في الكوابيس تنقطع خطوط الهاتف ، ويستحيل
الاتصال اللاسلكي نوعًا من الضوضاء الإستاتيكية ..

يقررون إرسال طائرة هليكوبتر كي تجلب نجدة
من (أداماوا) ، لكنها تصطدم بأسراب الغربان
فتحترق ، وعليها طيارها الأعمى البارع (يورجين) ..

هكذا لا يبقى من أمل سوى إرسال حملة برية

جريئة محاولة عبور هذا الكابوس ، والوصول إلى
(أداماوا) ..

إن الشاب المصري المشاكس (علاء عبد العظيم)
واحد من أفراد الحملة كما هي العادة .. هذا طبيعي ،
وإلا فلماذا صار بطل السلسلة أصلاً ؟

يحاول الاعتراض والفرار ، لكنهم يرغمونه على
ذلك إرغاماً ، ويرحل إلى مصيره كأبطال المأساة
الإغريقية ..

التفسيرات ؟ لم تتضح بعد .. لكن الصياد الروسي
الأريب واثق تماماً من أن ثورة بركان (ماونت
كميرون) هي السبب ..

وفي الطريق الرهيب الشبيه برحلات البحث
الأسطورية ، ندرك أن الجنون لم يعم الوحوش قصب ،
بل امتد إلى البشر .. وهاهو ذا مشهد يرينا كيف أن
رجلين وامرأة قد مرقوا بعضهم حتى الموت دون
سبب محترم ..

تتعرض القافلة إلى هجوم من قبل متحمس ، تكون
حصيلته فقدان السيارة ، وجراح عديدة بين الأفراد ..

ويتركنا الكتيب السابق في موقف مستحيل بعض
الشيء : لا سيارة .. الليل دان .. نصف أفراد الحملة
لا يصلحون ..

والأدهى هو علامات غريبة تظهر على أقوى أفراد
الحملة وأكفأهم ، ألا وهو الصيد للروسي ..
تري هل أصابه الجنون بدوره ؟

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

١ - (موكنبو) العجوز ..

يتحرك وسط الأكواخ الخاوية ، ملوحًا بعصاه ..
شعره الخشن قد اصطبغ بلون أصفر كزهر ، وثمة
نظرة مجنونة مذعورة في عينيه لا يعادلها في البشاعة
إلا فمه .. فمه الذي تدلت شفته السفلى كاشفة عن
تجويفين بين أسنان تخره ..

يتحرك وسط الأكواخ ، بعباته المصنوعة من جلد
فهد .. كأنما هو نفسه فهد عجوز يتحين فرصة ما ..
يمشي وسط الجثث المتناثرة والدماء .. قدماه
للحريتان النحيلتان تصطبغان بالدماء الجافة ، فلا يبالي ..
لقد جاء الهول .. وعم الهول .. ثم رحل ..
وبقى هو .. (موكنبو) العجوز .. فلم يستطع
الموت أن ينال منه ، لأنه الأثير لدى الأرواح ..
ولكن هناك قادمون .. يسمع صوتهم بجلاء تام
وسط السكون ..

ترى من هم ؟ ماذا يريدون ؟

★ ★ ★

دخلنا القرية المهجورة نجرجر أقدامنا ، ونلحق
جراحنا ..

الرومي وأنا و (بودرجا) و (أندرسن) والسائق
الكاميرونى .. وكان الظلام قد حلّ تمامًا ، لكن القمر
الإفريقي البكر كان يغمر المكان بضوء فضي بارد ..

قمر بكر ما زال بعافيته الكاملة لم يستنفد بطارياته
بعد .. لكن غيومًا حزينة كانت تعبر أمامه من حين
لآخر ، وحوله تلك الهالة الشاحبة المنيرة بعاصفة ..

على الضوء الفضي كنا نرى الأكواخ الصامتة ،
وبينها أشياء أخرى قدرنا أنها جثث .. لقد صارت
الجثث مألوفة أكثر من اللازم هذه الأيام ..

اتجه (ميشكا) إلى إحدى الجثث ، وانحنى يتفحصها
في خبرة ، ثم نهض وقال وهو يتحسس بندقيته :

« أسود على الأرجح .. »

ارتجفت ذعرا .. لا أحب أن أرى عشرة أسود
تخرج إلينا من الظلام الآن ، ونحن في العراء وفي
هذه الحالة ..

قال (ميشكا) كأنما سمع أفكارى :

- « الجثث باردة .. لقد حدث هذا منذ ساعات .. »

ثم نظر إلى (أندرسن) الذي لم يكف عن القىء
منذ حدث هجوم الفيل علينا ، كأنما هو واجب قومي ،
وقال :

- « يمكننا البقاء ليلتنا هنا .. إن الدانمركي لن
يتحمل أكثر .. »

- « السويدى .. إنه سويدى .. »

- « لا فارق عندي .. كلهم يتشابهون .. والآن يمكننا
البحث عن كوخ مناسب .. »

نظرت حولى فى رعب .. لا أحب على الإطلاق
المبيت فى قرية صار كل أهلها جثثا ممزقة ، وكان
(بولرجا) يرى الشيء ذاته :

- « (داوا) ! هذه القرية مليئة بالـ (داوا) ! الأرواح
لن تتركنا لحظة ! »

قال الرومى بلهجة لا تقبل النقاش :

- « إن فرصتنا هنا لا بأس بها .. لكن نهائيتنا تنتظرنا
هناك فى العراء ووسط الغابة المظلمة .. لقد خرج

كل وحش في البلاد كي يظفر بنا ، ولن نسهل له
الفرصة .. »

ولم أجادل أكثر لأن العقل يفرض نفسه في النهاية
دوماً .. العقل الذي حسبت للحظة أنه تخلص عن
صديقنا الروسي ، وقلت لنفسي : إلى أن يجن تماماً
سيكون ذا عون كبير لنا .. إن قوته الجسدية والنفسية
وخبرته بالأدغال هي ملائمتنا الوحيد الآن ..

وبحثنا وسط الأكواخ حتى وجدنا موخاً خالياً ..
كان هناك موقد بدائي ، وإتاء صديء به سائل ما ..

رفعت رأسي لأعلى ، وتأملت السقف المغطى
بالقش .. إن هذا أوهي حصن ممكن لو كان لي أن
أقول هذا ..

قال الصياد الروسي وقد سمع أفكاري للمرة الثانية :

« ليس لدينا ترف الاختيار .. لكننا على الأقل نواجه

حيوانات عجماء لا فريقاً من رجال العمليات الخاصة ..

فلنأمل أن هذه الوحوش أغبي مما نظن .. »

وأشعل قداحته ولامس بها قطع الخشب الجاف ،

فراحت النار تنوهج في حياء أولاً ، ثم بدأت تتحمس ..

وبيد ثابتة مذيبة إلى (الجربندية) فأخرج بعض
علب الطعام المحفوظ ، وبعض علب المياه الغازية ،
وأمرني بأن أفتحها ..

لم يكن لأى منها مفتاح ، فناولني خنجره المشرس
رهيب المنظر ، ودعاني إلى استخدامه .. كانت مهمة
عسيرة لكنى تجنبت إعلان هزيمتى كي لا أشعره بلئنى
شخص عاجز لا يمكن الاعتماد عليه ..

وبالخنجر وضعت لكل من الجالسين نصيبه من
الطعام على ورقة من المناديل الورقية ، واختصصت
نفسى بما بقى فى العلبة على سبيل الطبق ..

بقم ملء بالطعام دنوت من (أندرسن) الذى كان
راقدا يرمى للسقف وينت ، وحاولت أن أدرس بعض
الطعام فى فمة لكنه بصقه فى حزم ..

ارتجاج واضح تماما ، لكنى أحسبه سيشفى منه
سريعا .. إن حدقتيه تعملان جيدا ، ولم يبدأ فى
التشنج ، أو يواصل القيء ..

سألت الروسى وأنا أواصل التهام الطعام :

« ما هى خطتنا لو طلع علينا النهار ؟ »

جرع جرعة من قارورة يحملها في جيبه ، وقال :

- « لم يتغير شيء .. لقد ننونا من (أداماوا)
جداً ، ولو سارت الأمور جيداً ستكون هناك عند
الظهيرة .. »

- « وهل تصدق أننا سنجد هناك رجال الجيش
حقاً ؟ »

- « لم أعد واثقاً من شيء .. لكننا لم نعد نملك
الخيار .. لقد ابتعدنا عن (سافاري) كثيراً جداً .. لم
يعد من أمل سوى مزيد من التقدم للأمام .. »

ثم فرغ من طعامه فمدّ يده إلى بندقيته ، وعالج
شيئاً فيها ، ثم سألني بقم مليء بالطعام :

- « هل تجيد استعمالها ؟ »

- « لا أجيده ، لكنني أعرف كيف أضغط الزناد
وأصوب .. »

- « جميل .. »

ونظر حوله إلى الكوخ الذي أضاعت النار أرجاءه ،
وإلى الخارج المظلم ، ثم قال :

- « سنتنظم نوبات حراسة .. أنا ثم أنت ثم
(بودرجا) ثم السائق .. »

فى الغالب لن يجرى الخطر إلا من الباب ، وسيكون
مجال للتصويب محدوداً .. »

قال (بودرجا) مرتجفاً :

- « ألن تشعل ناراً بالخارج ؟ »

- « بلى .. إن النار مفيدة دائماً .. »

وخرج مع السائق يجمعان الأخشاب الجافة ،
ووضعاها فى كومة على بعد أمتار من مدخل الكوخ ،
ثم لامسها بقداحتة ، وبدأت الزهرة البرتقالية تتزعزع
وتتمو ..

عاد الروسي إلى الكوخ ، فوضع البندقية على
ركبتيه ، وأراح ظهره إلى الحائط الطينى ، وقال
بلهجة أمرة لهم ثم لى :

- « ناموا ! سارقك بعد ساعتين .. »

غمغت شيئاً ما ، وأدبرت ظهرى للنار ، وحاولت
جاهداً أن أقتل الخواطر المتصارعة فى ذهنى ، كما

تَحاوَلْتُ أَنْ تُقَتِّلَ جَيْشًا مِنْ الصِّرَاصِيرِ بِحَذِّكَ ..
ضَرْبَةً هُنَا وَضَرْبَةً هُنَا .. يَجِبُ أَنْ لَنَامَ .. لَا أَحَدٌ يَعْلَمُ
مَا سَتَرَاهُ غَدًا ، وَلَا كَيْفَ سَيَنْتَهِي النَّهَارُ ..

لَكِنِ الْخَوَاطِرُ ظَلَّتْ جَامِحَةً تَتَصَارَعُ ..

خَوَاطِرُ عَنْ أَخِي .. أُمِّي .. وَحَدَّةَ (سَافَارِي) ..
(بَرْنَات) .. مِصْرَ .. الرُّوسِ .. الْقَيْلُ يَضْرِبُ
سَيَارَتَنَا ..

حَتَّى لَمْ أَعُدْ أَنْكَرُ شَيْئًا ..

★ ★ ★

وَرَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ الرُّوسِ يَخْنُقُ كُلَّ
الْمَوْجُودِينَ بِالْكُوفِ ، وَعَلَى وَجْهِهِ ضَحْكَةٌ شَيْطَانُ لَوْ
كَانَتْ لِلشَّيَاطِينِ تَضْحَكُ ، وَكَمَا هِيَ الْعَادَةُ فِي الْكُوَايِيسِ
كُنْتُ أَنَا ثَقِيلُ الْحَرَكَةِ غَيْبًا بَلِيدًا ، أَكْتَفَى بِأَنْ أُنْتَظَرَ
دَوْرِي فِي تَرَاحٍ تَامَ ..

فِي النِّهَايَةِ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى تَرْقُوتِي عَازِمًا عَلَى
الْبَدْعِ ، وَصَحَوْتُ فِي اللَّحْظَةِ ذَاتَهَا عَلَى يَدِهِ الْغَلِيظَةِ
تَهْزَتِي فِي خَشُونَةٍ ..

— « اسْتَيْقِظْ ! جَاءَ دَوْرُكَ ! »

فتحت عيني بصعوبة .. وفهمت أن الرجل لم يفتق
أحدًا بعد .. هذه من (أحلام المنبه) الشهيرة ، حين
يتم تلقيق حلم كامل من أجل لحظة الإيقاظ هذه .. أتت
تبلى فراشك ليلاً - هذا مجرد مثال طبعا - فتري حلما
كاملاً تقود فيه طائرة تهوى إلى المحيط .. وحين
تصحو من النوم تدرك أن شعور البلى حقيقى ، وأن
كل الحلم تم تلقيقه لتبرير لحظة الاستيقاظ هذه ..

وبذهن ناعس مبلى تركته يضع البندقية فى يدي ،
ثم يدير ظهره العملاق إلى النار ويدخل فى مسبات
عميق ..

لو كان هنا بعض الشاى ١

وجلست أرمى النار خاضعا لتأثيرها المنوم .. لم
يُخلق بعد الإنسان الذى لا يشرذ ذهنه حين يرمى
النار أو البحر ..

ونظرت لساعتي .. إنها الثانية بعد منتصف الليل ..
ساوِقت (بوجرا) فى الرابعة ، أو فى الثالثة لو نام
ضميرى مبكراً .. يمكننى أن أزعم له وقتها أنها
الرابعة .. لن يلاحظ ..

النار .. النار .. النار ..

النار .. النار .. النار ..

★ ★ ★

في قاي فوق قام !

★ ★ ★

بعد ربع ساعة رأيت الظل يمرّ أمام الباب ..

كانت ناراً تنعكسان عليه ، فأمكنني تمييزه بشيء
من الوضوح .. كان محني القامة نحيلاً جداً ، له شعر
ذهبي نائر .. والغريب هنا أنه عبر فرجة الباب دون
أن يجد السير أو يتباطأ .. كأنما لا وجود لنا أصلاً ..

وانقبضت أناملِي بعنف على البندقية .. هذا وهم ..
لا بد أن هذا وهم ..

ثم تذكرت أنني لست من الطراز المغرم بالهلاوس
البصرية .. لقد مرّ واحد أمام الباب لاشك في هذا ..

هل أوقف الآخرين ؟ العقل يقول أن أفعل ، لكن
غريزة الانتحار المعروفة لدى علماء النفس تقول لي
أن أتحرى الأمر بنفسِي .. لست فتاة مراهقة مذعورة

تملأ الدنيا عويلاً لدى أول خطر ، والأدهى أن يتضح
أنه ليس خطراً ..

ونهضت نحو الباب .. رفعت فوهة البندقية لأعلى
وصحت بالعربية بصوت حارم (مرتجف بعض الشيء) :
- « من هناك ؟ »

كما يفعل شاويش الدورية عندنا في مصر أو كان
يقول .. وخرجت من الكوخ لأأمل قرية الأشباح
المظلمة النائمة في ضوء القمر ، لا شيء سوى وهج
الذهب يحرق جانب وجهي الأيمن ..
ثم رأيته يتحرك ..

كان يخرج من وراء كوخ طيني ليدخل وراء كوخ
آخر ، بتلك الخطوات الغريبة المتمهلة غير العجول ..
كان لديه كل الوقت ، لكني لست مثله ..

وثبت الحق به .. لو لم أجد الشجاعة وأنا أحمل
هذه البندقية الثقيلة فمتى أجدها ؟

وراء صف الأكواخ لم أجده .. هذا سهل في هذا
الظلام ..



كان يخرج من وراء كوخ طينى ليدخل وراء كوخ آخر ، بتلك
الخطرات الغريبة المتمهلة غير العجول ..

ثم أدركت أن لعب المسابقة بهذه الطريقة حماقة ..
إن الكوخ سيعطيني مركزًا أتحرك منه وظهري
يحميني ..

ترأجت إلى الكوخ ببطء وأنا لا أكف عن الدوران
حول نفسي .. وفي دقيقة كنت عند بابه ..
فقط لأجد للرجل واقفاً هناك ، وظهره لي ..
وكانت في يده مدية هائلة ..

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

٢ - حصار جديد ..

لا أدري كيف ولا متى صحا (بودرجا) من نومه ..

لكنني سمعت عويله الشبيه بعويل كلب صغير
دأبت شاحنة على ساقه اليمنى .. راح يصرخ ويردد
عبارات بللغة (البانتويد) أو (الفولاني) أو (السودقية) ،
لا أدري معناها لكن لها رائحة (عقرية ! عقرية !
تعالى لي يا أمي !) ..

كان يسعى إطلاق النار على المهاجم من ظهره ،
لكنني لم أجسر طبقا .. لهذا أمسكت البندقية من
طرفيها كعصا ، وهويت بها على عنقه من الخلف
استخدمها كمشنقة .. ورحت أضغط وأضغط بينما
أحرك الجسد يمينا ويسارا لأرهقه ..

كان صراخ (بودرجا) قد أوقف النائمين ، وكان
الروسي هو أول من جاء بجر عضلاته ، وبحركة
فنية ما انتزع المديّة من المهاجم ، ثم أشار لي :

« دعه ! »

ولما رأتى مترددا ، صاح :

« قلت : دعه ! إنه مذعور أكثر منك .. »

وفككت المشنقة عن عنق الرجل ، فهوى على الأرض يسعل ، ويقول كلمات كثيرة لا تفهمها ..

جلس (ميشكا) القرفصاء جوار الرجل ، وتأمل ثيابه وسحته ، ثم قال :

« ساحر .. إنه ساحر هذه القرية على ما أظن .. »

قدمنا للرجل بعض الماء ، فراح يجرعه دون حذر ، وحنجرته تتوالب في عنقه التحيل كالـ (يويو) الذى يلعب به الصبية ..

هنا جاء دور (يودرجا) مترجمنا المعتمد ، الذى تغلب على ذعره أخيرا ، وراح يفسر لنا كلمات الرجل :

« يقول إن الأرواح غزت القرية ، وأصابت أهلها بالجنون .. فى البداية جاءت الضباع ، ثم الفئران ، ثم راح القوم يقتلون بعضهم ، لكن الأرواح استتته لأنه الساحر (موكنبو) .. أحكم حكماء القبيلة ، وأقربهم إلى صداقة الأرواح .. »

قصة منطقية جدًا كما ترون ، وكان مسيحيتها أي
ساحر قبيلة يبقى حيًا بعد هلاك الجميع ، فإذا أضفنا
لهذا جحوظ عينيه وهياجه الشديد ، لأمكننا القول إن
لمسة من الجنون أصابته بدوره ..

أدخلنا الرجل البائس إلى موضع جوار النار ،
وقدمت له بعض الطعام المتبقى من العشاء ، لكنه لم
يبد جائعًا .. ألقى بالعبء وراح يردد كلمات مجنونة
ترجمها (بودرجا) :

— « الهول .. الهول .. الهول جاء ومضى ..
ستموتون جميعًا وأنتم تصرخون ، بعد ما تمزقون
بعضكم .. »

قلت له (بودرجا) في ضيق :

— « يمكنك إغلاق قناة الترجمة قليلاً .. هذا الرجل
لن يقول شيئًا جديدًا سوى نبوءات العرافين ، التي
تتكرر دومًا بنفس الحروف تقريبًا .. ما دام لن يقدم
لنا معلومة ما ، فمن الخير أن نخرس .. »

هنا تدخل الروسي في الكلام ، وباهتمام قال :

— « ما زلت أريد فهم ما حدث .. كيف بدأ الجنون ؟ »

تبادل (بودرجا) والرجل المرتجف بضغ كلمات ،
ثم قال لنا :

- « يقول إنه بدأ فى العيون أولاً .. راحت ترقص
فى محاجرها ، ثم بدأ الصياح بصوت عال .. قافلت
بالأيدى .. ثم خرجت الأسلحة ، وجاءت الطيور
الجارحة تحيط بالقرية .. »

- « يا للكارثة ! تبدو لى نهاية العالم ! »

قلتها فى نوع من التحبيب ، فقال (ميشكا) :

- « لن نموت يا فتى .. لقد مررت بما هو أسوأ
وازدلت فى كل مرة قوة .. »

وبلهجة أمرة صاح فىنا وفى (بودرجا) :

- « الآن يتام الجميع ما عدا (بودرجا) ! لقد بدأت
نوبة حراسته ! »

وصدعنا بالأمر ، لكن الوليد الجديد إلى معسكرنا كان
يضى جواً ما من التوتر ، وكأنه أحد طيور الشوم ..

وأصابنى الأرق بلعل الورطة المعهودة : التتظار
مجنون النوم ..

حين تفرّ من يدك اللحظة المسرحية التي يجيء فيها النوم دون أن تدعوه .. من ينتظر النوم لا يجده أبداً ..

وفي الخامسة صباحاً - اعتقد أنني لم أكن قد نمت بعد - سمعت (بودرجا) يصيح .. ثم راح يهزنا جميعاً دون رفيق ، حتى إنه وجه ركلة إلى خصر السائق ..
وفتحنا عيوننا لنجده يصرخ :

- « أسود ! »

انتزع (ميشكا) البندقية من يده ، وبحزم سأله :

- « أين ؟ »

- « مرّ أحدها أمام الباب حالاً ! »

تصليبتنا جميعاً في فلكي ، وأرهقنا السمع ..
لا شيء ..

بل هناك شيء ..

بالحق نسمع الآن صوت الزئير الجشع قادماً من الخارج ..

- « يجب أن نمدّ هذا الباب حالاً .. »

وبحثنا في الكوخ حتى وجدنا حشيرة قديمة ممزقة
يبدو أنها كانت فراشا لساكنيه ، وتعارفنا حتى ثبتناها
على فتحة الباب .. ثم رحنا نضع قطع الطين الجاف
وراءها .. كان هذا سداً يثير الشفقة ، وتذكرت ما كان
الألمان في حصار (برلين) يقولونه عن المتاريس
التي أقاموها لصدة هجوم السوفييت : سيحتاج الروس
إلى ثلاث ساعات لاختراق هذه المتاريس .. ساعتين
ونصف للضحك ونصف ساعة للاختراق !

فلنأمل أن تموت الأسود ضحكاً حين ترى هذا السد
الأبله ..

أشعل (ميشكا) سيجاره كريمة الرائحة ، وقال
وهو يتأمل المكان :

- « هذه الفتحة التي تسمى ستارة من الحصير ..
إنها نافذة سهلة الاختراق .. »

قلت له في غيظ :

- « يمكنك طلب حداد يدعمها لك لو أردت .. »

قال وهو ينفث الدخان :

.. « لن نَعتمد عليها .. سنجعل منها مكانًا للمراقبة
وإطلاق النار .. أقترح أن تتولى أمرها يا فتى مع
(بودرجا) .. »

واتحنى إلى جربنديته ، فأخرج منها مسدسين طَوَّحَ
لي ولـ (بودرجا) بهما .. كان ثقل السلاح مطمئناً
مهيئاً في قبضتي ..

ولم يدر (بودرجا) كيف يستعمل هذا الشيء ،
فشرح له الصياد بسرعة كيفية إزالة حاجز الأمان
والإطلاق .. إلخ ..

وبحركة درامية مَرَّقَ الستار لتظهر لنا للتأفذة
المنحوتة في الطين ، ضيقة لحسن الحظ لا تسمح إلا
بمرور طفل ..

ومن ورائها كان لون الفجر قد بدأ يغمر القرية في
سخاء ، كأنما فرشاة سحرية سخية لا تكف عن تلوين
كل شيء .. هواء الفجر للبارد النقي يملأ رئاتنا ..

واتجه (ميشكا) إلى الباب الذي ثبت عليه الحشية ،
فصوب بندقيته نحوه وانتظر ..

قال سائلاً في احتجاج :

.. « وأنا ؟ لست مسلحاً .. »

.. « للأسف لا يوجد معي المزيد من السلاح يا بني .. »
ثم مَدَّ يده إلى حزامه ، فانتزع الخنجر العملاق وطوّحه
باتجاه السائق حتى كاد يتغرس في صدره ، وقال :

.. « لو حدث التحام سيكون دورك ! »

تأمل السائق الخنجر في غيباء إذ جلس جوار
المسافر العجوز ، وكان هذا الأخير لا يكف عن الكلام ..
يبدو أنه يحكى قصة حياته منذ كان رحم أمه لا يكف
عن الانقباض ، حتى وجد نفسه في هذا الكوخ مع
غريباء ..

ومن جديد ساد الصمت ..

★ ★ ★

لم يتكرر صوت الزئير ثانية ..

وعرفت أن لنا نصف ساعة ننتظر منذ سمعنا
الزئير الأول ..

قلت في أمل :

.. « ربما اكتفت الأسود بالجنث الموجودة ورحلت .. »

قال (ميشكا) دون أن يبدل وقفته :

« الأسود لا تأكل الجيف يا بني .. الضباع والطيور الجارحة تفعل .. إنهم يبحثون عن شيء حتى يؤكل هنا .. »

وهنا سمعت الزاير يتعالى رويدا رويدا ..

بنوت من النافذة وحبست أنفاسي ..

لحسن الحظ أن أفتحاما مستحيل لمن هو في حجم أسد .. على الأكل يعطيني هذا حماية لا بأس بها ..

ولا أدرى كيف ولا متى وجدت تلك الذراع الهائلة تفتح الفرجة على بعد سنتيمترات من وجهي ، وراحت تخمش هنا وهناك محاولة توسيع الفرجة ..

ثم توارت وظهر الرأس .. رأس لبوة ثائرة تحاول أن تدمن جسدها بشكل ما عبر الثغرة .. وقمها ينفتح ويتغلق محاولاً القبض على شيء .

بحق كان المشهد رهيباً .. كالكوابيس .. حين ترى هذه القوة العاتية الكاسحة ، على بعد سنتيمترات منك ، وأصابتني تلك التتويم المغناطيسي الذي يصيب كل من



ثم توارت وظهر الرأس .. رأس لوزة ثائرة تحاول أن تدس
جسدها بشكل ما عبر الشفرة ..

تدنو عيناه من عيون عائلة (السنوريات) بدءاً بالقط
والتهاءً بالنمر ..

« أطلق الرصاص يا أحمق ! »

ونجحت الصرخة في إعادتي لصوابي ، فجردت
المسدس وأثبته ما بين العينين ثم ضغطت الزناد ..

★ ★ ★



٣ - تنويعات على نغمة الحصار !

يا لصخب الطلقة وبالقوتها !

في هذا المكان المطلق بدا لي أن الطلقة أحدثت خللاً ما في تركيب مخي ، وبالطبع أغلقت عيني ساعتها فلم أر ما حصل .. فلتظ حين فتحتهما لم تكن اللبوة هناك ، وكان النخان ذو رائحة البارود الحريفة يفعم المكان .. واستدرت إلى الرومى صائحاً :

- « ماذا حدث ؟ هل أصبتها ؟ هل ؟ »

صاح دون أن يبتعد عن الباب :

- « بالطبع لا .. تأخرت قليلاً .. ولكن لا تتحرك .. أثبت حيث أنت .. »

- « ك .. كيف ؟ لقد كاتت على بعد سنتيمترات مني و .. »

- « أثبت ! »

وهنا راحت الحشية على الباب تهتز ، وأدركنا أن

جسمًا ضخمًا يحاول إزاحتها بأثنيابه ومخالبه ، وهو
مجهود هين على كل حال ..

دون أن يفكر مرتين أطلق الروسي طلقة واحدة
في منتصف الحشية ، بعدها همد الصوت تمامًا ..

ونظرت من النافذة وانتهى تصفران .. كأنما غشاء
عكبت قد نسج بإحكام على طبيئتهما ..

رأيت ثلاثة أسود تقف هناك في ضوء النهار
الواحد ، وقد ثبتت عيونها على عيني في ثبات ..
وارتجف الفك السفلي لأحدها مصدرًا زئيرًا واهتًا ،
كالذي تطلقه القطرة حين ترى عصفورًا على حبل
الفضيل ..

قلت لـ (بويرجا) وأنا أسند الممسدس بيدي
الأخرى :

- « أطلق ! بالله عليك ! »

ولكن الصياد الروسي صاح دون أن ينظر لنا :

- « لا تفعل ! »

- « ولكنهم أمامنا تمامًا .. »

- « من الخطأ أن تطلق النار على الأسد إذا لم تكن واثقاً من قتله . إن الأسد للجريح قادر على كل شيء حتى على هدم هذا الكوخ فوقنا .. اقتصد في طلقاتك من أجل الهجوم القريب فقط .. »

وفي اللحظة التالية سقطت الحشية ، وبرز لنا الجزء العلوي من أسد عجوز كثيف ، اللبدة متمسخها ، وراح يحاول أن يمر من فوقها ، وهو يزار في هياج غريب ..

أطلق الروسى بندقيته من جديد ، وهكذا تهاوى الأسد ، لكنه - في حماقة بالغة - هوى للأمام ليوسع فرجة الباب ، فلو كان عنده شيء من اللياقة لمات ساقطاً للأوراء ..

وهكذا صار الباب مفتوحاً كـ (روما) بعد سقوط الفاشية ، أو كقلب صديق مخلص .. وجاءت ليؤة متحمسة تثب فوق جسد يعطها الميت تبغى اللخول ..

صاح (ميشكا) وهو يطلق النار :

- « ساعدوني هنا ! لو دخلت الأسود للكوخ لانتهى الأمر ! »

وتركنا النافذة - هي على الأقل ضيقة - ورحلت
و (بويرجا) تطلق دون وعى على الوحش الذى
جعله الارتفاع أكثر ضخامة .. رائحة البارود تؤثر
لحواس ، وصوت الطلقات يصم الآذان ..

وفى النهاية تراجع الوحش الجريح ، فى الغالب
ليموت جوار الباب .. واستدرت لأرى النافذة ..

كان أسد شاب يحاول جاهداً أن يمس رأسه فيها ..
صحت مذعوراً :

- « (ميشكا) اكم تظن عددهم ؟ » :

- « إن الهجوم الجماعى يقوم به ستة فى المعتاد ..
لكن هذه الأسود لا تعمل كما ينبغي .. ربما كان هناك
عشرون منها ! »

ثم صاح وهو يحاول جرّ الأسد الميت على الملخل :

- « ساعدونى ! » لن نستطيع غلق الباب ما لم

نبعد هذا .. »

وقف (بويرجا) شاهراً منمسه ، على حين تعاونت

والسائق والروسى على جرّ الوحش المصلى للصريع
إلى الداخل .. تباً ! لابد أنه يزن طننا على الأكل ..

والأسوأ هو أن الحياة لم تكن فارقة تماماً .. كان
يحرك فكيه ومخالبه ويحاول أن ينهض .. لن يقدر
لكن لو استطاع !

يوم 1

كانت هذه رسالة الرحمة التي أطلقها على
رأسه .. رحمة به وبنا ..

وفي اللحظة ذاتها دوت طلقة أخرى أطلقها
(بودرجا) على أسد حاول أن يعبر الباب ..

صاح (ميشكا) وهو يضع الحشية مكانها :

« هلموا ساعدوني على تثبيت هذه ! »

ورحنا نضع الحشية البائسة كيلاً لتبقى ، ونكوم
الطين الجاف وراءها .. من الواضح تماماً أنها تعوق
المفتحمين برغم هشاشتها .. على الأقل تمنحنا الوقت
الكافي للانتباه ..

ساد الصمت وجلسنا نلهث ، دون أن نجروا على
ترك الأسلحة ..

كانت جثة الأسد الجريح وسطنا بحضورها للقوى ،

وراحتها التي هي مزيج من رائحة اللوحوش المعروفة
ورائحة الموت ذاته ..

قال (ميشكا) :

- « أسد بارع الجمال .. لو كان لدينا وقت لجزرنا
رأسه .. »

قلت وأنا ألهم :

- « إن لديك معرضاً رائعاً بالخارج .. يخيّل إلى
أن أسود إفريقيا توشك على الانقراض بسببنا .. »

- « لا اعتقد أننا قتلنا العدد الذي تتخيله .. لا تنس
أنك وصديقك الكامبروني لا تجيدون التصوير .. لا بد
أن ثلاثة أسود هناك يلعبون جراحهم .. »

سأله (بودرجا) مرتجفاً كالعادة :

- « متى نخرج من هنا ؟ كيف نواصل رحلتنا ؟ »

قال (ميشكا) وهو يتفحص بندقيته ويعيد حشوها :

- « حالياً لا أملك إجابة .. لكن الأسود سريعة الملل
على كل حال ، وسرعان ما تقرر البحث عن مغامرة
جديدة .. »

وتهلل وجهه في سماحة وقال :

- « هلموا ! لن نظل هنا حتى نموت جوعاً وعطشاً
ونتلفد نخيرتنا .. هذا يحدث في عالم البشر فقط .. »
رحلت لرقبه ، وحمدت الله تعالى على أن ظننى
خاب ..

ما زال عقل هذا الرجل راجحاً ويعمل كما ينبغي ..
وارتجفت لفكرة أن تولجه كل هذا من غير خبراته ..
حقاً شعرت أن (ميشكا) هو حليف الموت ،
ويعرف عنه كل شيء .. من الصير أن تموت لو كان
معك صياد كهذا ..

وتظرت للوراء فوجدت (أندرومن) يصحو
ويتحسس رأسه .. كان رأسه يتأرجح كما يتأرجح
عنى مجلحة مذبوحة ، وراح يلن متألماً ، لكن عينيه
كانتا تتكلمان في هذه المرة ..

قلت له باسمًا :

- « استيقظ وأشرق ! لقد نسينا أننا خمسة .. »
لم يرد .. كنت عيناها مثبتتين على جثة الأسد

المضرجة بالدماء ، ولا أدري إن كان يقظاً أم غافلاً
حين بدأت المعركة ، لكنه بدا عليهما بتفاصيل ما حدث .

وجواره كان الساحر الإفریقی يتلفت حوله في فزع
لم ينقطع لحظة .. لقد كانت هذه الضوضاء كافية كي
يطير عقله شعاعاً ، بفرض أنه لم يطر من البداية ..

كان نور الصباح قد غمر المكان قادمًا من النافذة
الوحيدة ، وللحظة بدا لنا أن من حقنا أن نأمل في
انتهاء الكابوس ..

وفتحت إحدى علب الطعام المحفوظ وقمت بتوزيع
الأنصبة ، ثم سألت (أندرسن) الصموت :

— « هل أنت بخير ؟ »

أشار إلى رأسه بسبابته إشارة مفهومة تمامًا ،
وبدا يمضغ ..

كنا قد بدأنا نهذاً قليلاً حين تعالى الزئير مرة
واحدة ، فوثبنا في أماكننا ، ونظرت إلى النافذة لأجد
ذراعاً أخرى لأسد يحاول كالعادة أن يسمح لنفسه
ثغرة ..

صاح (ميشكا) وهو يقف ، ويمسك بندقيته :

- « إلى أماكنكم سريعاً ! »

- « إذن هم لم يرحلوا بعد ! »

وجريت حاملاً المسدس إلى موضعي جوار النافذة ..
الإغراء شديد كي أفرغ طلقة في هذه الذراع .. لكن
هذا لن يفيد سوى مزيد من الاستفزاز ..

صرخ (أندرسن) في هستيريا :

- « اقله ! ماذا تنتظر بالله عليك ؟ »

كدت أشرح له في برود ما اكتسبت من علم في
الساعات الماضية ، ثم قررت أن أصمت .. لا وقت
لهذا ..

إن فقدان (أندرسن) لبروده ورباطة جأشه ليس
مشهداً سيئاً على كل حال .. هذه المرة ألعب أنا دور
البارد بسماجة متناهية ..

وارتج السد الذي وضعناه على الباب ، كأن وحشاً
ضربه برأسه ، فأطلق (ميشكا) البندقية في اللحظة
ذاتها ..

ولبضع ثوان ساد الهدوء ..

لكن (بودرجا) صرخ في زعر .. وصرخة
(بودرجا) تعني كارثة دوما ..
نظرتنا جميعا لأعلى حيث أشار ..
وعرفنا ما ينتظرنا ..

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

٤ - دعنا نقر من هنا .. !

صاح الصياد الروسي دون أن يبدل وقفته أمام
الباب :

- « أطلقا للرصاص على السقف .. أنا لن أبرح
موضعي هذا ! »

صوبت المسدس لأعلى ، وكذا فعل (بودرجا) ،
وأطلقا رصاصتين على اللبوة التي كانت هناك ، والتي
تجحت في تمزيق جزء من سقف الكوخ المغطى بالقش ..
لا أدري إن كنا أصبناها ، لكن رأسها للمسدس
وعينها اللامعتين الجشعتين توارتا عبر الفتحة .. فلم
نعد نرى سوى السماء الزرقاء الصافية .. وهتف
السائق الكاميروني :

- « كان هذا متوقعا .. لا أدري لماذا تأخرت
الأسود في عمله .. »

هنا حدث شيء مخيف ..

★ ★ ★

لم يدرك أحداً كنه الشيء الذى وثب من النافذة فى
ثانية واحدة ، لكنه كان أسود ثرسنا كالشيطان كربه
الرائحة ..

وقبل أن تفهم ما يحدث ، وثب على (بودرجا)
ليطبق بأنبياه على فخذه ، وهو يزوم فى شراسة ،
واللعاب يتطاير من فمه ..

بدأ لى ككلب يشع المظهر ، لكن (ميشكا) عرف
على الفور أنه ضبع مُرَقَط .. ورفع البندقية ليفرغها
فى رأس الحيوان الذى كان على بعد مترين منه ..

انتهى المشهد الدامى الذى لم يستغرق سوى
عشرين ثانية ، لكنه بدأ لنا كلنا استغرقى ثلاث ساعات ..

صحت فى هلع وأنا أرمى الجثة :

- « ض .. ضبع ؟ »

- « نعم .. ضبع مُرَقَط .. هذا يغير الأمور كلية ،
فالأسود كانت عاجزة عن اقتحام النافذة ، أما الآن فقد
ولعوا المهام جيداً : الباب والسقف مهمة الأسود ،
والنافذة مهمة الضباع .. »

والمرة الأولى لمحت رجفة في وجه (ميشكا) ..
إن الأمر فاق المخاطر التي اعتادها :

- « هذه ورطة حقيقية .. هذه الحيوانات الكريهة
لا حصر لها ، ويقدر عدد منها على استنفاد ذخيرتنا .. »
قلت وأنا لا أفارق النافذة بعيني :

- « هذه الكلاب ؟ إتنا نستطيع قتلها بالركلات .. »
أبتسم في فرارة :

- « أنت تجهل كل شيء عن الضباع .. أولاً : هي
ليست كلاباً على الإطلاق بل هي تمت بصلة قربي
لحيوان (المتجوس) ، ثانياً : هي أكثر شراسة وفتحارية
من الأسود .. »

وكأنما تؤكد صدق كلامه ، وثب ضبعان من النافذة
في آن واحد ، فافرع (بودرجا) - الذي صار حفرًا كقط-
رصاصتين في جسديهما قبل أن يلمسا الأرض ..

حقاً قد صار الكوخ رابع الجمال بكل هذه الجثث ..
نظر (بودرجا) حوله ، ثم قال :

- « لقد صار استعمال الباب مقامرة بالغة للخطر .. »

ونظر لأعلى وأردف :

- « السقف ! سنحاول الفرار من السقف ! »

- « هل جنت ؟ إن الأسود هناك و .. »

- « لا أظن .. ربما كانت محاولة فردية عابرة .. »

ثم أشار إلى الصائق ، وقال :

- « سنبدأ بك .. تتصلق لأعلى ، وتحاول جذب

الآخرين ، فما إن نتركز هناك حتى نغدو في وضع

أفضل .. نرى كل ما حولنا ، ونتجنب المفاجآت ،

ونعرف اللحظة المناسبة للفرار حين تملّ الوحوش

مهاجمتنا ..

ابتلع الصائق ريقه وسؤاله الطبيعي : لماذا أنا

بأذات ؟

وأخذ مسدسًا من (بودرجا) ..

فكّ للروسى فى رعب :

- « ألا يوجد حلّ آخر ؟ لو وجد على السقف أسداً ،

فسيكون أول ما نسمعه منه هو صوت للتهام عنقه ! »

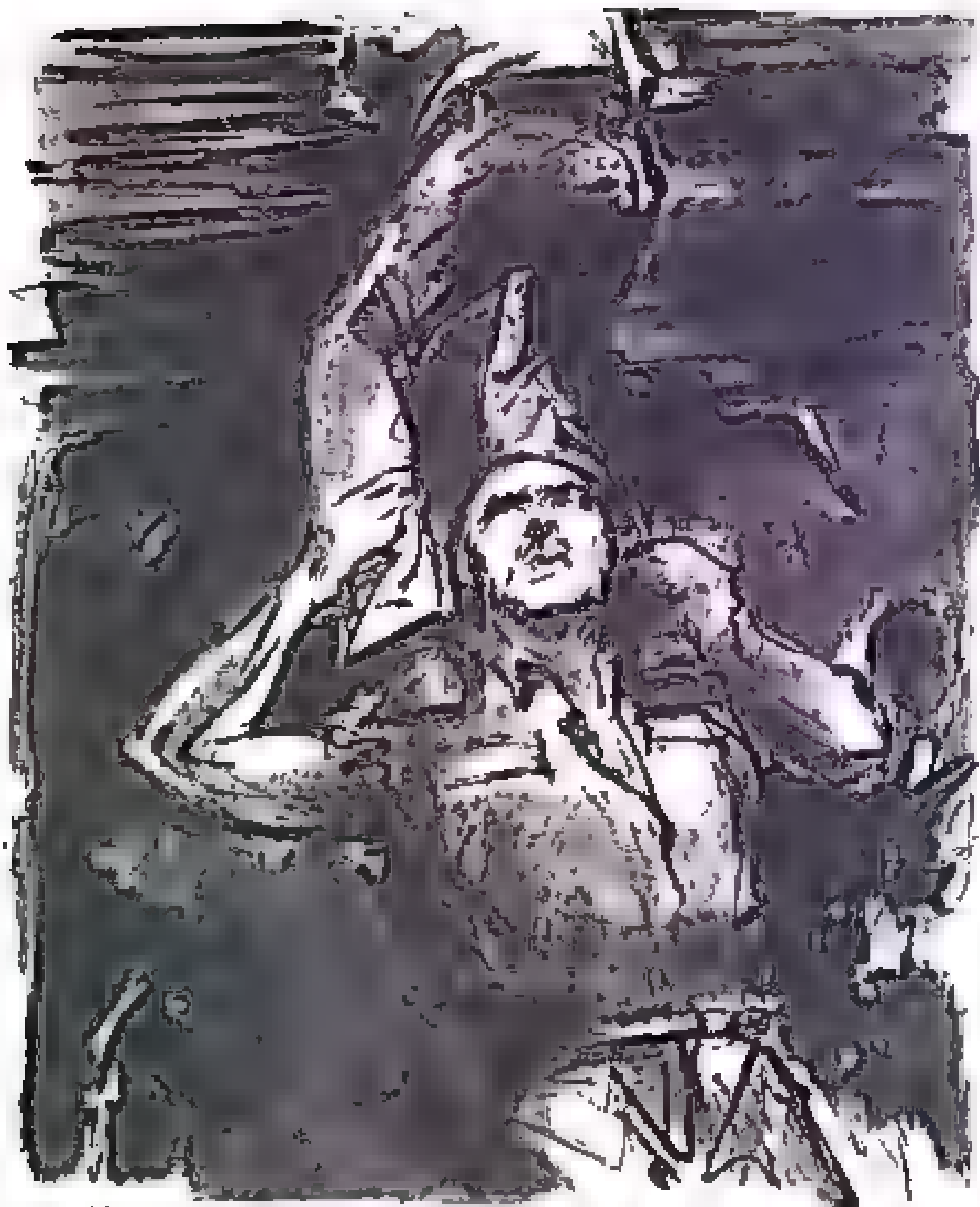
ابتسم (ميشكا) فى مرارة وقال :

- « لا يوجد حل آخر .. الانتظار هنا هو انتظار
للأبد .. إن هذه الوحوش ذكية صبور .. وعلى كل
حال الرجل هو أخفنا وزناً ، وأنا مضطر لحمله حملاً
إلى أعلى .. (بويرجا) جرح في فخذه ، و (لندرسن)
مصاب ، والساحر لا يصلح .. لو كنت تشعر بهذا
الخوف عليه يمكنك التطوع وتكون لك شاكرين ! »
لم أجد ما أقول ..

إنها لحظة من اللحظات التي يدوس الخوف فيها
أي كبرياء لديك ، وكرهت الروسي لأنه وضعني في
اختبار كهذا ..

وهكذا حملت أنا البندقية ووقفت جوار الباب ،
على حين وقف (بويرجا) بمسدسه خلف النافذة ،
ووقف الروسي العملاق تحت فتحة السقف التي صنعتها
اللبوة ، وساعد السائق كي يصعد على ساعديه ، ثم
يضع حذائيه كل حذاء على كتف ..

كان الروسي قوياً كطود ، لكن جسده راح يتأرجح
ويهتز وهو يحاول التماسك تحت ثقل حمله ، واحتفت
عروقي رفبته حتى كاد الدم يتلجر منها ..



ووقف الروسي العملاق تحت فتحة السقف التي صنعها الذبابة ،
وساعد السائق كي يصعد على ساعديه ، ثم يضع حذائه كل
حذاء على كتف ..

ومن بعيد سمعت صوتاً رهيباً .. كضحكات ساخرة
ماجنة تتردد في أرجاء القرية .. فيما بعد عرفت أن
هذا هو صوت الضباع المرقطة ، لهذا يسمونها
(الضباع الضاحكة) ..

أخيراً يمسك العائق بحافة الفتحة .. يبرز صدره
منها .. لحظة صمت لا داعي لها .. لذا صحت في
ذعر :

- « هل السقف نظيف ؟ »

ظل صامتاً ليثير غيظي .. ثم قال وقد نادته ثانية :

- « لا شيء .. سأتصلق أكثر .. »

ورفع باقي جسده ليمر من الفتحة ، ويتوارى عنا ..

بعد ثوان برز وجهه في الفجوة - حيث كان وجه
الليوة من دقائق - وقال في رضا :

- « لا بأس .. الموقع ممتاز فعلاً ، ويعطي رؤية

واسعة للقرية .. إن الضباع مشغولة بالتهام الموتى ،
والأسود حفتش هنا وهناك .. يبدو لي أن هذا هو
المكان الأكثر أمناً ..

هزّ الصياد الروسي رأسه ، وأشار لـ (بويرجا)
الذى لم يكف فخذّه عن النزف ..

رفعه بشيء من الجهد ، حتى استطاع الأخير أن
يتمسك بكفّ السائق ، وسرعان ما لحق به لأعلى ..
قلت للروسي فى قلق :

- « هل ستتحمل رفع ثلاثة آخرين ؟ »

- « أعتقد هذا .. »

- « ومن يرفعك أنت ؟ .. إنك ثقيل كفرس النهر .. »

- « سنعبّر ذلك الجسر حين نصل إليه .. »

وهكذا لحق (أندرسن) بالآخرين ، ثم جاء دورى ،
وبعد قليل جاء الساهر المجنون ..

هل يتحمل السقف المصنوع من قش كل هؤلاء ؟
أدعو الله أن يفعل .. وبشكل غريزى ابتعدنا عن
مركز السقف كي يرتكز ثقلنا على أطرافه المدعمة ..

وأدبنيت رأسى من الفتحة ، وصحت :

- « (ميشكا) .. هلم ! هات يدك ! »

نظر حوله فى توتر ، ثم هتف :

« البندقية ا هات البندقية حالا ! »

وفهمت .. لقد بدأ اقتحام جديد لا يسمح له بوقت ..
لا يسمح له بتزف التسلق والتدلى من أعلى ..

ألقيت له بالبندقية ، ثم زحفت على بطني فوق
النقش لأكون فوق مدخل الكوخ وأرى ما يحدث تحتي ..
ونظرت ..

كان ارتفاع السقف نحو ثلاثة أمتار ، وهو ارتفاع ثاقه
لا يسمح لنا بالنجاة من وحوش وثابة بطبعها .. لكننا
لعب على استراتيجيات الأماكن المرتفعة .. إن من يجد
نفسه في مستوى أعلى من خصمه يملك الكلمة الأخيرة
غالبًا ..

ومن بعيد رأيت المشهد الذي وصفه لي السائق :
الضباع تتصارع على الجثث ، وبعض الأسود توجه
صفعات قاتلة للضباع التي تنازعها افتراس شيء
ما .. يبدو أن الأسود قررت أن تذوق لحم الموتى
على سبيل التغيير ..

الخلاصة : لم أجد وحشًا واحدًا حول الكوخ ..

يبدو أن الحيوانات تمرح قليلاً قبل أن تواصل محاولة
الافتحام التي أدركت أنها ليست شديدة السهولة ..

صحت من مكاني :

- « هلم يا (ميشكا) ! إنها لحظة سلام فاعتمها ! »

ويبدو أنه اعتمها بحق ..

دوى صوت طلقة ، وأصدر الصائغ صوت (أوع !)
ثم التصق أكثر بمقعد الكوخ ، وصار واضحاً لكل ذي
عينين أنه مات ..

مات بطلقة جاءت من أسفل !

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

٥ - الرائد (جيتادب) ..

كنا نتبادل النظرات في غباء ، حيث تمددنا على بطوننا فوق القش ..

لم يجرؤ واحد منا على الاعتراف بالحقيقة ، حتى اخترقت القش الطلقة الثانية ، لتمر على بعد سنتيمترات من كتف (أندرسن) ..

ومن أسفل سمعنا الروسي بصوته الغليظ ينشد (كالينكا) ..

هتف (أندرسن) غير مصدق :

- « إنه يطلق الرصاص علينا ! لقد جنّ ! »

صحت وأنا أراجع للوراء قليلاً :

- « بل هو مجنون ! عرفت هذا وشككت فيه ،

لكنني تجاهلته بحماقة .. إنه الآن يمارس أمتع تجربة

صيد مرّ بها في حياته .. نحن على السقف معدومو

الحيلة ، وكل ما عليه ، هو أن يطلق الرصاص كيما

لتفق ، وأعتقد أنه يراهن نفسه على الضحية التالية ! »

وأنطلقت رصاصة أخرى ، وكان الجسد الذى
تصلب فى هذه المرة هو الجسد النحيل للساحر
الإفريقى ..

صاح (بويرجا) متوسلاً :

.. « أيها السيد ! كف عن هذا المزاح الثقيل ..
إننا .. »

تعالى صوت الغناء بالروسية ، ثم جاء صوت
الصياد يقهقه فى مرح :

.. « نياهاهاهاه ! خدعتكم يا بؤساء ! أنتم الآن بط
معدوم الحيلة على السطح ينتظر الذبح ! »

وطلقة أخرى صفرت جوار رأسى ..

لقد جنّ حقاً .. كان هو أول من فقدوا اتزانهم ،
وها هو ذا يمارس هواية الصيد فى أمتع صورها ..

هل كان يدارى الجنون طيلة هذا الوقت ؟ أم هو
فقد الخيط الأخير الآن فقط ؟ لقد اختار أسوأ لحظة
ممكنة .. مصيرنا يتراقص فى لعبة غير مشربة ..
والرصاصة القادمة لمن ؟

صاح (لُدرسن) :

- « فلنثب ! »

لكن منظر الأسود والضباع التي تجوئ في ساحة
القرية لم يبد لنا مشجعا .. إن الوثب معناه الهلاك
الأكيد ، أما هنا فالحظ قد يلعب لعبته لصالحنا ..

لو كان بوسعنا أن نخمن مكانه تحتنا ..

وتوكلت على الله ، وأحكمت التصويب على موضع
في القش بدا لي أنه يعلو المكان الذي كنا فيه قبل أن
نصعد ..

يوم !

تعالى الغبار مع رائحة البارود ، ورأيت الجزء الذي
ثقبته طلقتي ، وفي نفس اللحظة لمحت صلبة الرجل
الشاحبة تلتمع في الضوء .. ولم أنتظر أكثر .. أطلقت
من جديد .. يوم !

فهام ! فهم !

هاتان - كما لاحظتم من الصوت - لم تخرجا من
مسدسي ، بل من بندقيته لأن رصاصتي كالعادة لم

تصيباه ، وعلى الفور أطلق (بودرجا) طلقتين أخريين
عبر القش ..

أخيراً ساد الهدوء ..

هل أصبناه ؟ لا أجرو على التمنى ..

لكنى حين جررت نفسى على القش وجدت أن
ساقى اليمنى أضعف من اللآزم ، وأنها تترك خيطاً من
الدماء على القش .. لقد أصبت .. دون ألم ؟ ليس
هذا غريباً .. جنود كثيرون فى الحروب يدركون
فجأة أنهم يتزفون أو أن سيقاتهم - ببساطة - لم تعد
هناك ..

تمنيت أن تصل الدماء أكثر ، وتتخلل القش حتى
تفرق الوحش الأدمى الأصلع المنتظر حتى ..

من جديد يسود الهدوء ..

تساءل (بودرجا) :

- « أترقى أصبته ؟ »

ولما لم يجد منا إجابة ، كرّر فى ثقة :

- « أصبته .. »

قال (أندرسن) وهو يمدّ يده ليتحسّن نبض
السائق :

- « لا أتصحبك بالنزول كي تتأكد .. »

وقلت أنا لاهنا :

- « إنه يجيد كل أساليب الخداع ، وفي الغالب هو
ينتظر منا بعض الثقة الزائدة .. »

ساد الصمت إلا من أنفاسنا الثقيلة وطنين الذباب
الذى جُنّ بدوره .. الشمس تعلّى الأفق ، وتسلط
حرارتها علينا بلا رحمة ..

قال (أندرسن) بنفاد صبر :

- « لن نبقى هنا حتى تجف الشمس عظامنا .. »

- « لو كان لديك حلّ فعال فلا تتركنا نموت شوقاً .. »

وفجأة دوى صوت سلاح نارى .. سلاح من طراز
مختلف تماماً عن كل الـ (يوم) والـ (قهام)
والـ (طاخ) .. كان يصدر صوت (راتاتاتاتا !) كأنها
آلة كاتبة عملاقة تكتب عليها أسرع سكرتيرة فى
الكون ..

ونظرنا لأسفل فوجدنا مشهداً مثيراً ..

★ ★ ★

حين جاء أيروفسور (بارتلييه) ركضاً وراء
(جيبون) ، كان الأخير في حالة لا تسمح له بالنطق ..
ودون كلمة أخرى أشار إلى جدران المشرحة ..
إلى الأسقف بشكل خاص ورأى (بارتلييه) ما يعنيه
الرجل على الفور ..

إن مئات اللطخ السوداء على مواضع اتصال
الجدران بالسقف ، تعني دون ريب مئات الوطاويط
المعلقة هناك تنتظر مجيء الليل ..

تساءل (بارتلييه) والقشعريرة تغزو عموده
الفقرى :

- « ألم تكن هذه هنا أمس ؟ »

- « ولا واحد منها ! »

وارتجف أستاذ علم الأمراض الإنجليزي حنقاً ،
وراح يطلق سيلاً من الأسباب على كل شيء في وحدة
(صافاري) :

- « وطاويط في المشرحة ا لقد صار كل شىء
ممكناً ا وإتنى لأتمنى أن تتذرنى قبل أن تبدأ فى
التهام الجثث ا »

التقط (بارتلييه) أنفاسه المبهورة ، وقال :

- « (ديف) .. لا مشكلة هناك .. سيقوم العمال
بإبانتها حالاً .. أريد أن تعد كل شىء لزوم تشريح جثة
ذات أهمية خاصة .. »

- « من ؟ (بونايرت) مثلاً ؟ »

ابتلع (بارتلييه) السخرية ، وقال :

- « بل جثة تابع الصياد الروسى .. لقد توفي عند
الفجر ، ويبدو لى أن جثته مستقيم لنا الحل النهائى
للغز ا »

ثم جذب البروفسور من يده مبتعداً ، وأردف :

- « لقد أصابه جنون هياجى فى أثناء اجتماعنا ..
وضعاؤه تحت الملاحظة فى الحجز .. ولكننا وجدناه ميتاً
عند الفجر .. هكذا ببساطة .. دون صراخ ولا معاناة
ولا علامات معينة .. فقط مات ا »

★ ★ ★

حين نظرنا لأسفل وجدنا مشهداً غريباً ..

سيارة (جيب) من سيارات الجيش الخضراء ،
بها نحو ستة جنود زنوج يقف أحدهم عند المؤخرة
التي نُصب عليها ما يشبه (المترليوز) وكان يدور به ،
موزعاً الموت والهول في كل صوب على الأسود
والضباع ..

بدا واضحاً أن هؤلاء القوم يستمتعون بوقتهم ،
وأدركت الوحوش أن فرصتها ضئيلة أمام هذا الهجوم
غير المتوقع ، قراحت تركض مبتعدة وإن لم يستطع
أكثرها أن يجد الوقت الكافي ..

وكان الجنود الآخرون - ما عدا السائق - يطلقون
النار من بنادق آلية حديثة في الجهات الأربع ، وليس
الست لحسن الحظ ..

أخيراً هدأت الضوضاء ، وتوقفت السيارة ..

ترجل الرجال ، وهم يتلفتون حولهم في حذر ، ثم
دنا أحدهم - يبدو أنه القائد - من الكوخ ، ونظر لأعلى
وصاح :

- « يبدو أننا جئنا في الوقت المناسب ! »



حين نظرنا لأسفل وجدنا مشهداً غريباً .. سيارة (جيب) من
سيارات الجيش الحضراء ، بها نحو ستة جنود زنوج .. يقف أحدهم
عند المؤخرة التي نصب عليها ..

كان يتكلم الفرنسية بصوت حلقى غليظ ..

ونزع خوذته جزئياً كي يجفف رأسه من العرق ،
فصاح به (أندرسن) وهو يشير لأسفل :

- « حذار ! هناك مخبول في هذا الكوخ .. لانعرف
إن كان حياً أم .. »

تلقت الجندي حوله في حيرة ، ثم أشار لرجاله :
- « مخبول في هذا .. عريف (أومبالا) والجندي
(موماتدي) .. »

ثم أصدر باقى الأمر بلغة وطنية لم أفهمها ..
ورأيت الجنديين يذتوان بحذر ليتفقا على جاتبي
الباب ، ثم بحركة مفاجئة اقتحما الكوخ متولدين عن
عيني ، وسمعت دفعة من الطلقات .. ربما هي على
سبيل التأمين لا أكثر ..

بعد ثانيّين خرج الرجلان ، وتبدلا كلمات مع القائد ..
رفع رأسه نحونا وعقيرته ، وقال :
- « لا أحد بالداخل .. بعض الحيوانات الميتة
لا أكثر .. والآن يمكنكم النزول .. »

وهكذا ساعدونا في الوثب من أعلى .. وكنت أنا
أسوأ الآخرين حالاً بسبب ما أصاب ساقي ..

جلست على الأرض الموحلة ، ومددت ساقي ، على
حين مزق (أندرسن) طرفاً سروالي الملطخ بالدماء ،
وبدأ التضميد لمنع النزف .. لم أريد أن أنظر طبعاً ،
لكنه أكد لي أن الوضع ليس سيئاً ..

سأل القائد الأسود (أندرسن) وهو يشعل لفافة
تبغ :

- « الرصاصة ما زالت بالداخل .. هل يمكنك
استخراجها ؟ »

قال (أندرسن) :

- « يمكنني .. لكنه سيموت بصدمة عصبية لو فطت ..
أفضل الانتظار حتى يعود معكم إلى (أداماوا) .. »

- « (أداماوا) ؟ من تكلم عن (أداماوا) ؟ »

قلت في حيرة وأنا أتحمس الضمادة :

- « أليست قوات الجيش مرابطة في (أداماوا) ؟ »

- « لا أحد هناك .. إن الفوضى تعم الإقليم .. »

ثم مدّ يده بصافحتي :

ـ « أنا الرائد (جيتاب) .. من أنتم ؟ »

قمنا بعملية التعارف ، وأخبرناه أننا فقمنا اثنتين فوق
السطح لم تقتلهمها الوحوش ولكن الدوسى الذى جنّ ..

قال ضاحكاً وهو يعطى لفافة تبغ لـ (أندرسن) :

ـ « آه طبعاً .. يوجد الكثير من الجنون فى قرى

المنطقة الآن .. نحن ذاهبون إلى (أتجاوالتيرى) ١

فهل ترغبون فى اللحاق بنا ؟ »

تبادلنا النظرات ..

طلق ضلّ طريقه ، يعرض عليه أحدهم أن يعيده

إلى حصن أمه ، ثم يسأله إن كان يرغب هذا حقاً ١

إن الأسئلة السخيفة مضيعة للوقت حتماً ..

قال (أندرسن) فى لهفة :

ـ « طبعاً نرغب .. »

كان قد نسى تماماً مفتيح أداته البارد ، ووجدت أتنى

قادر على حبه واستلطافه كصديق الآن .. لا بد من

كارثة بينية كى تجعل (أندرسن) مقبولا بعض الشئ ٢

١ ٥ ٥ - مافارى عدد (١٢) أرض الجنون ٢

ولا أدري كيف حشرنا أنفسنا في سيارة (الجيب)
مع الجنود ، وقد لاحظت أنهم جميعاً يضعون علامات
الشقوق إياها على الخدين ، مما دللى على أنهم في
الغالب من قبيلة واحدة ..

قال (بودرجا) همساً ، وهو يحاول حشر ردفه
في مصاحة عشرة سنتيمترات مربعة :

- « إنهم من (الفولاني) .. مكان الشمال هنا .. »

وانطلقت السيارة تنهب الأرض تهباً وتطويها طياً
- كما يصّر أسنّاذ اللغة العربية في مدرستي - تعبر
(السافانا) نحو فاصل آخر من قصتنا ..

www.dvd4arab.com
Hany311
www.dvd4arab.com

٦ - لن يذهبوا هناك ..

قرب (جديون) الميكروفون من فمه ، وضغط على زر (التحكم عن بعد) الذي يبدأ تشغيل الشريط ، ثم ارتدى القفازين وقال :

- « سأصف هنا بالتفصيل عملية تشريح جثة الكيني الذي توفي أمس في الحجر .. أهمية هذا التشريح هي أننا للمرة الأولى نجد شخصاً قُتلَ الجنون الذي يجتاح البلاد .. قُتلَ بشكل تلقائي لا شبهة للعنف أو المرض فيه ، ومن المفترض أن يقدم لنا التشريح بدايةً خيط يقودنا إلى الحقيقة .. »

وأخذ شهيقاً عميقاً ، ونظر إلى السقف ليتأكد من أن الوطاويط قد رحلت ، وأن الأقاعي لم تأت بدلاً منها ..

ثم قال لمساعد الكوري :

- « فلنبداً .. »

الحقيقة .. !

كان هذا هو السؤال الذى يلح على ذهنى حيث
جلست فى عربة (الجيب) ، غير قادر على التنفس من
سرعة الهواء الذى يضرب وجهى ويتخلل لحيتى ..
اتحيت إلى الأمام لأقرب فمى من أذن الراكب ،
وصحت :

- « هل وصلتكم إلى تفسير بصد ما يحدث ؟ »

أدار وجهه الأبنوسى اللامع نحوى ، وتساءل :

- « بصد ماذا ؟ »

- « الجنون الذى عمّ الوحوش وبدأ يتسرب إلى
الكائنات البشرية .. هل هى كارثة بيئية ما ؟ هل هو
وباء من الحمى المخية ؟ هل ثمة فيضان أو زلزال
فى مكان ما ؟ هل ثار (ماونت كامبيرون) العجوز
وشعرت به الحيوانات ؟ هل هى نهاية العالم ؟ »

ابتسم فى تهكم ، وقال :

- « لم يصلنا شيء .. لقد صار القطاع كله مبتوراً
عن العالم الخارجى وعن (ياوندى) .. اعتقد أنهم
يعرفون الحقائق كلها فى العاصمة لكنهم لم يستطيعوا

الاتصال بنا بعد .. على كل حال : ليس المطلوب منا
سوى شيء واحد .. أن نظل أحياء .. هذا هو ما سنفعله
لو كان السبب هو الوباء أو البركان أو الزلازل أو
نهاية العالم .. »

كلام منطقي طبعاً ..

بعد قليل قال كأنما يتذكر :

« لقد هربنا من الكتيبة بعد ما بدأ الجميع في تبادل
الرصاص .. لسبب ما لم نجنّ بدورنا ، ولعل جنودنا كان
أكثر رفقا .. كنا سنموت بلا ألم .. »

وساد الصمت ، فعاد ينتظر أمامه ..

ورحت أرمق الطريق ، أحاول ألا أفكر في مساقي
المصابة .. لن يكون النزف هو سبب هلاكى .. لكننا
في بيئة عضوية ملوثة .. كل شيء يفسد ويتعفن
ويتخمر ، والمعجزة الحقيقية هي أن تجرح في ساقك
ثم لا تفقدها بسبب (الغفرينا) ..

أفكار مقلقة حاولت أن أستبعدوها ..

صبراً .. نحن في الطريق إلى (سافاري) ، ولن

يصعب أن أجد من الجراحين البارعين من يعيد لى
ساقى سالمة نضرة كما اعتنتها ..

بتر ؟ لا .. هذا لن يحدث لى .. لن يحدث ..

وتذكرت المشهد الرهيب من فيلم (يرقص مع
الذئاب) ؛ حين فرد (كيفين كوستنر) ذراعيه
مستسلماً ، وأطلق بجواده أمام صف من جنائز
الجنوبيين ، راغباً فى الموت ، فقط لى لا يبتز جراحو
الجيش الجزائريون ساقه !

ساعنى يا إلهى ..

★ ★ ★

كان الجنود لا يكفون عن المزاح ، والقهقهة
الإفريقية الطويلة الشبيهة بالنواح .. الأمر الذى بدا
لى غريباً .. روح مرح جديرة بالإعجاب حقاً ..
واستدار الرائد إلى الوراء ، وزجرهم فى غلظة
فصمتوا .. ومن جديد عاد الصمت ..

نظرت إلى (بودرجا) فوجدته نائماً أو شبه نائم ..
للمسكين ! لقد عانى الكثير بحق فى هذه الحملة ، وفخذه
ليست أفضل حالاً من ساقى .. لقد قل بها الضيع الكثير ..

وفجأة فتح عينيه ..

نظرة مخيفة مثيرة للقلق تلتصع فيهما ، ولون أحمر خالط لون الصلبة الأصفر فبدا منظره شيطانيًا .. هل هو خائف أم مخيف ؟ لا أدري .

كنت أتكلم لكنه قرّب قمه من أذني وهمس :

- « ششش ! لم أكن نائمًا .. كنت أنتظر بالنعيم .. »

فكّلت في ضياء :

- « هذه فكرة لا بأس بها .. ولكن لماذا ؟ »

- « ششش ! ليأخذوا راحتهم في الكلام ! »

- « من ؟ الجنود ؟ »

- « نعم .. إنهم يتكلمون بلهجة غريبة من لهجات

(القولاى) ، وفي الغالب يحسبوننى لا أفهم حرفًا ..

للمترض لئننى لا أتكلم غير (البكتويد) أو (السودانية) ..

وقد تماديت في خداعهم بالنظر بالنعيم .. »

- « كل هذا جميل .. لكن ما معنى له .. ؟ »

كانت لهجته تكتسب في كل ثانية قوة إيجابية

كاسحة ، ولم يعد يمت بصلة لـ (بودرجا) المذعور
المسكين .. كان يعرف ما يقول ويفعل :

ـ « هؤلاء الجنود لا يتجهون إلى (تجاوتيري) ! »

قالها همسا في أذني ، فأجفت :

ـ « ماذا ؟ ولماذا ؟ »

ـ « ششش ! إتهم يبحثون عن مكان بعيد عن

الوحوش والبشر معا .. »

ـ « ولماذا ؟ »

ـ « لا أفهم كل حديثهم .. لكن ما فهمته منه يدلني

على أنهم جائعون .. إتهم ينتوون التهامنا يا دكتور ! »

* * *

٧ - مزيد من المرح !

في قاي قو فام !

إتنى أشم دماء رجل إيجليزي ..

فلن كان حيا أو ميتا ..

سامحق عظامه ، وأصنع منها دقيقا لخبزي !

(بودرجا) ! تبأ لك من أحقق ! إن جهلك باللفات

سيودي بنا إلى الهلاك أو ما هو أسوأ ..

بالتأكيد أنت أسأت الفهم .. بالتأكيد أنت معتوه ..

لكني شعرت من البداية بشيء غير مريح فيما

يتعلق بهذا الرائد (جيتادب) ورجاله .. إنهم مرححون

جدا ، يستمتعون بوقتهم بحق .. روح معنوية أعلى

من اللترم ..

ثم ما الذي يفعله ورجاله غير النزهة بالصيارة ،

وإطلاق الرصاص على الوحوش ؟ هل سيبيدونها بهذه

الطريقة ؟

مِنتُ أسأل (بوردجا) همسًا :

- « هل أنت واثق مما تقول ؟ »

- « كل الثقة .. إن الكلمات التي سمعتها كافية .. »

همست في ارتياب :

- « ومنذ متى يُمارس الاتهام لحم البشر في

(الكامبيرون) ؟ »

- « منذ راحت الأسود تجوك في (سافاري) ،

وراحت الفئران تهاجم القرى ! نحن في زمن مجنون ،

وكل شيء جائز .. »

ابتلعت ريتي ونظرت إلى الأمام ، وقلت :

- « إذن نحن في مازق حقيقي ! »

★ ★ ★

كانت المشكلة الآن هي إخطار (أندرسن)

بالموضوع ..

لكنه كان محشورًا بين اثنين من الزنوج ، وقد

انغمس وجهه تحت إبط أحدهما ، ولم يبدُ مستمتعًا إلى

هذا الحد براحة العرق ..

خطر لى أن أكلمه بالإنجليزية ، ثم خلت أن يكون
هذا الرائد مثقفاً أكثر مما أظن .. لا حل سوى أن
نتصرف وحدنا ..

ملت إلى الأمام ، وصحت بالرائد :
- « هلاً توقفنا قليلاً ؟ أريد تلبية نداء الطبيعة ،
والاهتزازات قد .. »

هز رأسه فى فهم ، وضحك ، ثم قال للسائق شيئاً
ما ، قلبطاً هذا الأخير بالمسيارة وسمح لى بأن لترجل ..
فقطعت المسافة وثباً ..

كنا فى سهل شاسع من سهول (المسافانا) ..
يسهل قول هذا .. لكن للعسير حقاً هو أن تعرف
موضعك من خارطة إفريقيا ..

تقدمت مسافة كافية ، ووقفت مولياً إياهم ظهري .
وعقلى لا يكف عن العمل .. يجب أن أكون حازماً ..
يجب ..

صحت منادياً الرائد بعد دقيقة :

- « سيدى .. هلاً لحقت بى ؟ أريد كلمة على
أفراد .. »

نظر لمن حوله ، وبدأ واضحاً أنه لم يعد تلقى
الأوامر ، لكنه فى النهاية قرر أن يجاملنى ويترجل ..
درت حول الشجرة وانتظرته ..

أخيراً جاء (الغول) فى ثفة وهدوء .. أسناته
البيضاء تلمع فى وجهه الأبنوسى ، والخوذة تدارى
عينيه فلا أدرى لأين ينظر ..

- « ماذا هناك يا دكتور ؟ »

- « هذا ! »

وبيد مرتجفة ألصقت فوهة المسدس الذى أحمله
إلى أذنه ، وبكلمات أردتها مهددة فجاءت متوسلة قلت :
- « أريد هدوءاً مطلقاً .. ستأمر رجالك بأن يترجلوا
ويلقوا بما يحملون من سلاح ، ويجيئوا إلى هنا ..
نريد السيارة نظيفة .. »

كما توقعت لم يبد ذعراً ولا ضيقاً ..

فقط ازدادت ضحكته اتساعاً ، وببشاشة تامة قال :

- « آها ! هذا تصرف خطير يا دكتور .. صدقتى
لست أنت بالشخص الذى يتورط فى حماقة كهذه .. »



وبعد مرئحفة أُلصقت فوهة المسدس الذي أحمله إلى أنفه ،
وبكلمات أردتها مهددة فجاءت متوسلة قلت :
- أريد هدوءاً مطلقاً ..

ـ « أنا لا أمزح ! »

وتراجعت للوراء خطوة كي أمنعه من الالتحام بي
لو أراد ..

ومن جديد أمرته :

ـ « هيا ! مرهم الآن ! »

نظر لى فى تحد ، ثم صاح بعبرة ما بأعلى صوته ،
ولم أقهم ما قيل طبعاً لكنه كان مختلفاً بالتأكيد عما
لرأته ..

رأيت الرجال يبحثون عن بنائهم ويتهينون
ـ للإطلاق ، وبطبيعة الحال كان (بودرجا) الوحيد الذى
فهم ما يحدث .. وكان رد فعله مذهلاً ..

لقد أطلق ثلاث رصاصات متوالية قرأيت ثلاثة رجال
يسقطون ، ثم وثب من السيارة وهو يهتد الباقين الذين
لم يجدوا الوقت الكافى للوصول إلى سلاحهم ..

ـ « ناديو أنجوزى كوميو ! »

كان هذا الأمر الحاسم موجهًا للجندى الذى يقف
عند (المترليوز) فى مؤخرة السيارة ، فرقع ذراعيه
فى الهواء ووثب مترجلاً ..

« نیاں ہاں ۱ »

هذه كانت من الرائد نفسه ، الذي كثر عن أسنانه
البيضاء ، وتقلص وجهه في تعبير مريع ، يجمع
ما بين التوحش والاستمتاع ..

ووثب نحوى .. وثب بالمعنى الحرقى للكلمة ، كما
تُرى القهود فى الصور تثب على ضحاياها ..

هذه المرة لم يكن بوسعي أن أجد حلاً بسيطاً ..

ضغطت على الزناد ، وأطلقت الرصاصة ..

وحيث فهمت ما يحدث كان الرجل على الأرض ،
يرمقني في كراهية بعينين محتقنتين ، ويده تعصر
صنره ..

تراجعت للوراء ، وتواثبت كالقلاق إلى حيث كانت
السيارة ..

كان الجنود يققون مذهولين ، يرمقوننا في كراهية
ممثلة لكراهية قائدهم ..

صحت فی (اُدرس) الذی کان یرمقنا فی غباء
اسکندنافی صمیم .

- « (أُدرسن) ! ستقود أنت السيارة ! »

بدا متردداً ، بينما وثبت و (بودرجا) إلى الداخل ،
فصحت :

- « قَدْ حالاً يا أبله ! »

وسلّطت و (بودرجا) مسدسينا على الجنود الذين
بدأوا يتحركون في بطء وثقة نحونا ..

« قَدْ ! »

وثب (أُدرسن) إلى مقعد القيادة ، وفتح الباب
ليلقى بجثة السائق إلى الخارج ، ثم أمسك بالمقود
وداس دواسة الوقود ..

وسرعان ما انطلقت السيارة مبتعدة ..

صاح (أُدرسن) مغیظاً ، وهو يحرك المقود
بعصبية :

- « هلا تفضل أحدهم بالشرح ؟ »

قلت له إن هؤلاء المنقذين كانوا أكلة لحوم بشر ..
لا أكثر ..

- « هراء ! لا يوجد أكلة لحوم بشر في (الكامبيون)

كلها .. »

- « قل هذا ! (بودرجا) .. »

ثم سألت (بودرجا) الذي استرخى في مقعده :

- « ماذا قال لرجاله ؟ »

تأمل المسدس في قنوط ، ثم طوّح به إلى الخارج .

- « فارغ ! تسأل عما قال لرجاله ؟ قال لهم : لقد عرفوا

سرنا .. إنهم قليلوا الخبرة بالقتال ، ونخيرتهم لا تكفي

للجميع .. حتى لو قتلني هذا فلا مشكلة .. أريدوهم ! »

- « يا له من بطل حقيقي ! »

هنا صاح (أندرمين) في عصبية :

- « لماذا لم تعد السيارة أنت يا (علاء) ؟ »

- « يا له من سؤال ! إن حالة ساقى لا تسمح .. »

ثم انتهى .. »

وأضفت باسمًا في خجل :

- « لا أعرف كيف يقودون هذه السيارات ! »

★ ★ ★

بعد دقائق استطاع (بودرجا) أن يجمع البنادق
الآلية لهؤلاء الممادة .. كان قد بقي منها ثلاث ،
وكانت محشوة على ما أظن .. بالإضافة لهذا بدا أن
(المترليوز) الموجود في مؤخرة السيارة يعمل بشكل
جيد ..

هذا يجعل منا وحدة قتالية كاملة ..

المشكلة هي ألا نقابل وحدات جيش أخرى ، لأن
تفسير ما قمنا به كان عسيرا بحق ..

الشيء الثاني الذي وجدته هو كيس من المشمع ..
كيس مليء بأشياء رهيبة تؤكد براعته في الترجمة ..

لقد كان المصير الذي ينتظرنا رهيبا ، وما كنا
لتكون الوجبة الأولى لهذا اليوم ، فقد قام الرائد
(جيتادب) ورجاله بعمل مجيد قبل لقائنا ..

وفي اشملزرت طوح (بودرجا) بالكيس خارج
السيارة ..

قال (أندرسن) في ضيق :

- « إن كل شيء شبيه بالكواينيس .. أنت لا تستطيع

أن تثق بأحد حتى رجال الجيش لو قابناهم .. فلربما
كانوا كهؤلاء .. »

قلت وأنا أتحسس ساقي المضمة :

- « الغريب أن (ميشكا) قد ذاب تماماً .. »

- « لا بد أنه رأى موكبهم للصاحب من نافذة الكوخ ،
واستطاع أن يتسلل بشكل ما في أثناء المحادثة .. لن
يذهب بعيداً على كل حال .. »

ومن بين الأشجار برز لنا فهد متحمس ، قرر أن
يلحق بالسيارة بأي ثمن ..

زاد (أندرسن) من سرعته ، بينما الحيوان الرشيق
يثب وثبات سريعة خلفنا .. في لحظة حسبته سيلحق
بنا ، لكن قواه خارت بعد قليل ، واتسعت الفجوة بيننا
وبيته .. وأخيراً تلاشى بعيداً ..

قال (أندرسن) :

- « هل رأيت ؟ حتى بوجود سيارة ما زالت فرصة
النجاة واهية ، فكيف بمن يحاول عبور (السافانا)
مترجلاً ؟ »

لا بد أن ساعة كاملة مضت ، ونحن نمشي في خط
لم نختره ، لكن رسمته لنا الطبيعة ..

ومن بعيد كنا نرى بعض القرى ، لكننا لم نجسر
على دخولها كي لا نكرر تجربة أمس .. في الغالب
هي مهجورة تماماً ..

بشخصيته الجديدة الوثيقة تساعل (بودرجا) :

- « هل من خطة ؟ لن نستمر هكذا للأبد .. »

فكت :

- « من الواضح أننا لن نطبق خطة (أداماوا)
إلى النهاية .. قد حان أوان العودة إلى (سافاري) ،
وإبلاغ المدير أن الجحيم ينتظر هناك ، وأن الفصل
مصير كل من يتجاسر .. »

ابتسم (أندرسن) وهو يرمق السماء :

- « كل هذا جميل .. لكن أين (سافاري) ؟ »

حقاً .. كان كل شيء متشابهاً .. لقد ضللتنا الطريق
دون علامات سير ولا خارطة ولا بوصلة ، ولا أهال
ودولين يرعون ماشيتهم ، ويشيرون في طيب خاطر
إلى الاتجاه الصحيح ..

- « نحن في مكان ما من غرب إفريقيا » - قلّتها
في مرارة - « وهذا يجعل الأمر أكثر سهولة ! »

. لنفرض أننا استطعنا حساب الجهات الأصلية ..
هذا سهل .. تعطى ظهرك للشمس الغاربة ، عندها
يكون الجنوب عن يمينك ، والشمال عن يسارك ،
والشرق أمامك .. (مازلنا عصرا على كل حال ، ومن
العسير تجربة هذا) .

حتى لو قطعنا هذا ، فلن الطريق إلى (أجاوالتيري) ؟
إنه .. لكابوس ..



٨ - جراحة في البراري ..

- « هل أنت واثق مما تقول ؟ »

- « أنا لا أمزح يا (بارتلييه) ، ولا أقول شيئاً
جذافاً .. »

- « وما هي دلائلك على هذا ؟ »

- « كل شيء .. الصفة التشريحية .. نتائج المعمل ..
الأشعة السينية على الصدر .. لقد توفي هذا البائس
بجرعة عالية من غاز (ثنائي أوكسيد الكبريت) .. »
- « غريب حقاً .. وهل الخبال من علامات التسمم
بثنائي أوكسيد الكبريت ؟ »

- « بالطبع لا .. أو هذا لم يصل إلى علمي بعد .. »

- « إذن ما الذي تريد قوله ؟ »

- « إن صورة التشريح هذه لم أرها إلا عام ١٩٨٦
حين قمت بتشريح بعض ضحايا ثورة (ماونت كامبيرون)
المفاجئة .. »

- « أي أن (ماونت كامبيرون) قد ثار مرة حديد ؟ »

- « في الغلب لا ، وإلا لشعرنا بالاهتزازات للسيزمية ..
إنه في مرحلة اتبعات الغازات السامة ، وقد يلي هذا
الانفجار النهائي أو لا يليه .. تحتاج إلى خبير جيولوجي
ليخبرك بهذا .. »

- « وهم بالطبع يطمون في (ياوندى) .. »

- « بالتأكيد .. لكن من الواضح أن البلد كله في حالة
غريبة من الفوضى ، والاتصالات بأنواعها معطلة ..
إننا آخر من يعلم في كل الكوارث ، وعزائنا الوحيد
هذه المرة هو أن الأمر خارج عن إرادتهم .. »

- « تريد القول إن الغازات السامة هي سبب
ما يحدث ؟ »

- « لا أدري .. إن البراكين نشاط جيولوجي معقد :
غازات واهتزازات وكهرباء إستاتيكية .. كل هذا يلعب
دوراً في التأثير على الجهاز العصبي للإنسان والحيوان
معاً .. »

ومذ (جيبون) يده إلى حافظة أوراق يحملها ،
وفش عن ورقتين امتلأتا بالعلامات الصفراء التي
وضعها بقلم مضىء ، وقال لمدير الوحدة المذهول :

« لدى هنا بيان عن التغيرات النفسية التي صاحبت
زيادة نشاط بركان المكسيك الشهير (بوبوكات إبتل)
عام ١٩٩٣ (*) »

« لقد بدأت الموجات (العيزمية) تتزايد ، وتساعد
من قوه البركان ما يعادل عشرة آلاف طن من (ثاني
أوكسيد الكبريت) يوميًا ..

« بدأت مشاكل نفسية تظهر لدى الأهالي ، منها
الاكتئاب والتوتر والغضب والذهان ..

« مع براكين أخرى أكثر تهدينا ، لوحظ اضطراب
نفسى واضح لدى الأطفال أدى إلى تفاقم حالات الربو
للشعبى .. هل تفهم ما أعنيه ؟ لم يسبب القار زيادة
للربو .. الاضطراب النفسى كان هو المسئول عن
هذا ..

« بعد قنبلة (هيروشيما) لوحظ نفسى الخوف
والكراهية - التي تصل إلى حد الشجار والعنف - لدى
فرق الإنقاذ ، وقد أطلق علماء النفس على هذه

(*) حادثة كالعادة ..

الحالات اسم (Acute Stress Disorder) أو (اضطراب
للتوتر الحاد) .. (A. S. D) ..

« نفس الأعراض لوحظت لدى الحيوانات .. إن
هياجها لدى حدوث الكوارث الطبيعية معروف ، لكننا
هنا بصدد تبدل كامل في السلوك الجماعي .. باختصار :
جنون كامل .. »

وأعاد الأوداي إلى حافظته ، وراح في كبرياء
صارم ينتظر ما سيقوله المدير ..
قال (بارتلييه) أخيراً :

« لقد فهمنا ما كان وما سيكون .. لكننا لن نعرف
أبداً ما ينبغي أن يكون .. يبدو أن سياسة (البقاء
أحياناً) والانتظار هي الصواب الوحيد ، ويوم تستعيد
(باوندى) السيطرة على باقى الجسد ، ستكون هذه
نهاية الكابوس .. »

ابتسم (جيديون) ، وقال فى قسوة :

« أنت المدير على كل حال والقرار قرارك ،
لكنى لا أحب كثيراً أن أجد نفسى مكانك ! إن العواصف
تهز الأشجار السامقة ، لكنها لا تؤذى الأعشاب

كثيراً .. وأنا مجرد عشب تحت شجرتك السامقة التى
أرجو ألا تهوى ! »

نظر له (يارتلييه) ولم يقل شيئاً ..

كان يفكر فى مصير الحملة التى أرسلها إلى
(أداماوا) ..

الطريف ها هنا أن أفراد الحملة أنفسهم لم يكونوا
يعرفون حرفاً عن مصيرهم .. لقد واصلنا رحلتنا فى
سيارة الجيش المسروقة وسط قرى الأشباح هذه ،
وتعرضنا لهجمات لا حصر لها من وحوش متحمسة
لم تكن الأفيال بينها لحسن الحظ ..

فى النهاية قال (بودرجا) فى يأس :

« إتنا ندور فى دائرة كبيرة .. هذا واضح .. »

استدار (أندرمين) نحوه فى حيرة ، وتسأله :

« دائرة ؟ ماذا يدعوك إلى هذا الظن ؟ »

أشرقت أسنان (بودرجا) البيضاء فى وجهه
الأسود .

.. « هذه بلادى وأنا أعرفها .. ليس إلى درجة الوصول إلى (أنجاواتيرى) طبعًا ، لكننى أعرف المكان الذى زرته من قبل حين أراه .. »

وصمتنا مفكرين ..

(بوردجا) على حق .. صحيح أن (السافاتا) تتشابه فى كل مكان ، لكن ذلك الجزء الغريزى فى أعماقى والذى يتمتع به كل حمار يحترم نفسه فى أية قرية ، ذلك الجزء الذى يعرف الاتجاهات ويحفظها عن ظهر قلب ، عرف على الفور أننا ندور بلا هدف فى دائرة هائلة للقطر ..

وإن هى إلا دقائق حتى لمحتنا السيارة (القان) المقلوبة ..

السيارة التى انقلبت بنا أمس ..

وقفنا حول السيارة نتفحصها ..

قال (أندرسن) وهو يجرع بعض الماء من زمزمية تصيهاها هناك :

- « على الأقل نحن وجدنا الطريق المؤدى إلى
(سافارى) .. سنتجه بالعكس . لقد كان هذا الجزء
من الرحلة واضحًا ، ولدينا هنا خارطة وآثار عجلات
السيارة .. »

وتفحص الأشياء الموجودة ، وفي رضا غمغم :
- « يوجد ماء ووقود .. لا أدرى كيف يمكن أن
تفشل .. »

ثم خرج بالشئ الذى كنت أخشاه ..
حقيبة الأدوات الطبية التى تركناها هنا أمس ..
قال فى حذر :

- « هنا بعض (البكتين) ومبضع وجفت .. لا أدرى
إن كنت توافقتى الرأى ، لكن ..
.. « هل تستطيع انتزاعها حقًا ؟ »

- « لست جراحًا بارعًا ، لكنى سأمرق كل شئ
حتى أجدها .. الأمر هين كما ترى ! »

نظرت لساقى ، وأدركت أن على المخاطرة .. ربما
كان (أندرسن) جزاءًا أخرق ، لكن ترك ساقى بحالتها
هذه كل هذه الساعات أمر لا يبشر بأى خير ..

وهكذا تعددت على الكلاء ، وأراح (بودرجا) ساقى
على منشفة نظيفة ، فيما راح (أندرسن) يسكب
بعض الكحول على معدات الجراحة ، ومددت له
ذراعى فأولج فيها الإبرة ، وأفرغ نصف أمبول من
(البندين) جعل رأسى يدور بحق ، ونظرت إلى
السماء أدعو لله أن ينتهى كل هذا ..

لم يكن هذا تخديراً محترماً بل هو (تسكين)
لا أكثر .. وقد ظنلت أضغط على أعصابى مصغياً
لصوت القطع والتمزيق ، وصوت الجفت للمعدنى إذ
ينطبق على شىء ما من أنسجتى ..

كان (أندرسن) يلهث .. نعم هو ليس جراحاً ،
وما يقوم به مجرد استعادة لذكرياته كطبيب مقيم فى
مستشفى ما فى وطنه ..

- « ها هى ذى .. إنها ملامسة للعظام تماماً ..
صبراً ! لا تتحرك ! »

تباً ! إنها مراوغة .. هيه ! لقد نوت .. »

ورأس (بودرجا) جواره يتأمل فى استمتاع هذه
الفقرة المثيرة ، حتى توقعت فى أية لحظة أن يمد يده

بدوره - دون تعقيم - ليأخذ دوره في هذه اللعبة
المسلية ..

- « هذا لك (بتدين) مقشوس أيها النصاب ! »

قلتها له ، وعدت أضغط على أسناني ..

أخيراً رأيته يرفع يده بالجفت ، ورأيت المقشوف
المعطني الملوث بالدم بين فكّي الجفت .

ثم بدأت عملية إعادة الأمور إلى حالها ..

قال وهو يمسك بإبرة الخياطة :

- « لن أستطيع إعادة كل شيء .. لقد قمت
بإتلاف أنسجة كثيرة .. »

- « تباً لك ! »

- « لكني سأغلق الجلد بغرزتين متعا للتلوث ..
وبعد هذا سأعطيك جرعة من مصل (التيتانوس)
والمضاد الحيوى .. »

قال (بودرجا) وهو يتحسس فخذه :

- « ومصل الكلب لى .. »



أخيراً رأيت يرفع يده بالخفت ، ورأيت المقذوف المعدني الملوث
بالدم بين فكي الخفت ..

- « أما هذا فلا .. نحن لا نحمل شيئاً منه .. سنتنظر

حتى نعود يا صاحبي .. »

وانتهى (أندرسن) من جراحته الخرقاء ، ففك
ربطة النزف (تورنيكيه) ، وبدأ بضمد ساقى ، فلما
فرغ قال وهو يتأمل عمله متبهرًا :

- « رقع اولا قطرة بماء واحدة ا »

- « لك قُلتى فى الغالب .. »

ونَهَضت مترنخًا ، وبحثت عن شيء يصلح ، فلم
أجد سوى غصن شجرة سميك يصلح لاستخدامه
عكسًا ..

قال (بودرجا) فى توتر وهو محتبٍ على الأرض :

- « أرى أن نرحل الآن .. ثمة شيء قائم .. لا أرى

ما هو لكنه ضخم يرج الأرض رجًا .. »

تبادلنا النظرات ، ثم لم تنتظر أكثر ..

وثبنا إلى السيارة (الجيب) بعد ما وضعنا غنائمنا

فيها ، وانطلق (أندرسن) فى الاتجاه الذى جئنا منه

أمس حين هاجم الليل سيارتنا ..

أخيراً ننونا من تلك الخط للوهسى الذى يسمونه
الآقى ، والذى يبدأ عنده آقى جديد ، وأبركنا أن سحب
الغبار تطو أكثر من اللازم ..

كان الطريق مسدوداً بمصدر للصوت الذى سمعته
(بويرجا) ..

هناك قطيع من الأفيال يمشى فى صف واحد ،
مشيراً الغبار من حوله ، ويرغم بطنه وخطوته اللويدة
كان فى طريقه لنا ..

صاح (بويرجا) فى رعب :

- « إهم غاضبون ! غد لأرجك ياكتور ، ولا تحاول
أن تمر جوارهم .. »

لم ينتظر (أندرسن) مزيداً من النصائح ، لأنه حرك
عصا السرعات إلى وضع الفهقرى ، وحرك المقود
ليدور دورة كاملة بالمسيارة إلى الاتجاه العكسى ..

وبدا يتطلق سريعاً هارباً من زائرينا ..

مشيت للسيارة ثلاث دقائق ، ثم توقفت بفرملة
عاتية ..

لقد كان هناك جذع شجرة يمتد الطريق .. الطريق
الخشوي الذي رسمته الطبيعة ما بين (المسافتا)
والذي كنا ننوي المشي فيه ..

القريب أن هذا الجذع كان على بعد مئة متر من
الموضع الذي تركنا فيه السيارة المقلوبة ..

كيف لم نره ؟

نظر (تدرمن) إلى الوراء حيث الأفيال ، وإلى
الأمام حيث جذع الشجرة الغليظ ، وقال في توتر :

« هل تريدون رأيي ؟ هذا الجذع قد سقط هنا
منذ بقلبي بينما كنا متجهين إلى الأفيال .. وهل
تريدون رأيي ؟ لا يوجد لنا سبيل سوى لدخول القرية
من جديد .. »

قلت له وأنا أنظر إلى القرية المهجورة :

« وهل تريدون رأيي ؟ يبدو أن كل شيء معد
سلفاً كي ندخل القرية هذا كمين مقصود يا إخواني ! »

★ ★ ★

٩ - الصَّيَاد ..

ودخلنا القرية ..

لم تكن نملك ترف الاختيار أو التكرار ، ومن ورائنا
سمعنا هدير القطيع إذ يمشى مبتعداً .. بالطبع ما كانت
الأفئال بحاجة إلى الطريق الوحيد الصالح لمرور
السيارة ..

كانت القرية تمتد أمامنا كما هي باكواخها .. بجثث
البشر ، وجثث الحيوانات التي داهمتها .. وكانت أعداد
من الطيور الجارحة هنا وهناك تمارس دورها الثقيل
الذي لا تملك غيره ..

وقف (أندرسن) في مساحة خالية ، وراح - متكئاً
على الباب الخشبي - يرمي قلعة الأفئال تمر في طريقها ..
أخيراً هدأ الهدير ..

وبعد دقيقتين آخرين بدأ الغبار ينقشع ..

- « أظن أننا لن نتهور كثيراً إذا ما رحلنا الآن .. »

وأدار المحرك ، ودار بالسيارة قاصداً للموضع الذى
كان فيه ، لكن صوتاً مألوفاً مدوياً جعل القرية تهتز ..

فهام ! هوم !

★ ★ ★

تبادلنا النظرات فى رعب .. من فعلها ومتى ؟
لكننا عرفنا الإجابة ، وتأكدنا أكثر حين نظرنا إلى
إطار السيارة الخلفى .. كان مسطحاً وقد خرج للهواء
منه ..

هتف (بوردجا) وهو يشير إلى اتجاه ما :

— « انظروا ! »

★ ★ ★

فى هاى فوقام !

★ ★ ★

شمس الأصيل تتوهج فى السماء ، تحرق عيوننا
العاجزة عن الثبات .. لكننا نرى أمامها ظلاً مهيئاً ..

كان يقف فوق سقف أحد الأكواخ ، عارى الجذع ،
يمسك بالبنديقية فى يده اليمنى ملوحاً بها ، وكما اعتاد
دوماً طوح بصدره إلى الأمام ونفقه إلى الوراء مقلداً

(موسولينى) .. صلته تلتصق فى الوهج ، وقد ساهمت
الظلال التى غمرت جسده إذ وقف عكس الشمس ،
وقهالة الذهبية المحيطة به ، فى جعله يبدو أسطوريًا ..
لموت نفسه خرج من كتب الأساطير القديمة ،
وجاء ها هنا ينتظرنا ..

لقد اختار أن تكون هذه القرية قبرنا ، ولن نفرّ
مما أراد ..

أسوأ ما فى الأمر أنه لم يذ متحمسًا لمزيد من
التصويب ..

فقط أراد أن نره لا أكثر ..

صحت ولنا مجرد سلاحى :

« يا للوغد ! إن (ميشكا) ما زال حيًا ! أطلقوا

الرصاص ! »

وانطلقت بندقيتان مع مدس فى اتجاهه ، لكنه ظلّ
ثابتًا لا يهتز ولا يتحرك .. لم لا ؟ ليس هو الموت ذلّه ؟

وفى للنهاية اختفى أمام عيوننا التى أحرقها نهب

الشمس ..

صاح (أدرسن) وهو ينظر حوله :

« اللوغد ! إنه ما زال حيًّا ! »

وصاح (بودرجا) :

« كيف عرف أننا سنعود ؟ »

قلت وأنا أتأمل العجلة المثقوبة :

« لم يكن بوسعك أن تعرف .. اعتقد أنه ظل متواريًا
بالقرية ينتظر أول صيد آدمي يقوده حظه للعثور إليها ..
ومن الواضح أنه هو من قطع للشجرة ، وربطها بحيث
تسقط بعد مرور الصيد .. من يدرى ؟ »

ربما كان هياج الأقبال صدفة ، وربما كان هو من
استطاع تحريكها بحيلة ما .. »

ثم رحت أبحث عن إطار احتياطي .. كان هناك
واحد ، وكان بحالة جيدة لحسن الحظ ..

قلت ولما أجلس على الأرض في وضع مريح نسبيًا :
« ماذا تنتظرون كي تعاونوني ؟ يجب أن ننتهي
من هذا العمل سريعًا قبل أن يعود .. »

وثب الرجلان ، لكنني صحت في (بودرجا) :

« لحظة ! تنتظر وراء (المترنيوز) ولحم ظهرينا ..
اعتقد بما أعرفه عن الروسي أنه سينتظر حتى نبدل
الإطار ثم يثقب إطارا آخر ! »
وأشرت باتجاه الشمس :

« بما أنه صياد محترف ، فسيأتى من هنا دوماً ..
لا بد من حيلة الشمس فى لعبون هذه .. لن نلوتها .. »
وأمسكت بمفتاح (الصليبية) على حين بدأ (أندرسن)
فى تثبيت الرافعة .. هنا دوت طلقة أخرى طارت
الأرض جوارنا ، وبعثت الغبار فى وجهنا ..
كان صوت الصغير ما زال بصم أذاننا ، حين قال
(أندرسن) :

« المسألة واضحة .. لن يترك لنا فرصة للرحيل .. »

« إذن ندخل القرية بحثاً عنه .. »

« ونترك له السيارة ؟ »

ثم إن (أندرسن) التزع جريئاً من السيارة ،
وألقي فيها بمفتاح (الصليبية) والرافعة ، وكل سلاح
ليس فى أيدينا .. ولـ (بودرجا) قال :

.. « حاول اقتراع شريط لطلقات من (لمترايوز) .. »

ثم فسّر لي الأمر :

.. « هكذا تغزو السيارة بلا قيمة .. لن تفيد في الحركة ولا في السلاح .. الاحتمال الأخير هو أن يتلف المزيد من العجلات ، أو ينقل بعض العسكر في خزان الوقود .. لكن هذا يجعله سجين القرية مثلنا .. لن يفعل هذا ما لم يكن قد جنّ تماماً .. »

ابتسمت في مرارة ، وقلت .

.. « هو بالفعل جنّ تماماً .. لكن أملنا الوحيد أن نجده قبل أن يمنعنا بحق من الرحيل .. »

ودون كلمة أخرى طوّح (لندرسن) بالجربندية إلى كتفه ، وأمسك بندقية آلية بيده اليمنى ، وبدأ يتقدمنا نحو صف الأكواخ ...

نظرت إلى (بويرجا) ، وأشارت له أن يتبعنا ، ثم توكلت على عكازي ، وبدأت لقواش خلف (لندرسن) ..

كنت أعرف أن (ميشكا) لن يطلق النار علينا الآن ..

كان يومسه أن يفعل هذا ثلاثين مرة منذ بخلنا
للقرية ..

إن ما أعدّه لنا أكثر إمتاعاً بالتاكيد ..

★ ★ ★

كالت راحة العن قوية الآن ، من كل الأجساد
التي تحلت هنا ، ومهما بلغت براعة الطيور الجارحة
فإن لأدائها حداً ..

كان (كدرسن) أول المتقدمين ، ولعله أدرك
بدوره أن (ميشكا) لن يطلق النار فوراً ..
لا أدري متى ولا كيف حدث هذا ..

كان يمشي فوق مجموعة من أوراق الأشجار
للجلفة المبعثرة على الخبار ، وفجأة صرخ وتصاعدت
سحابة ترابية ، ثم غاب عن عيوننا ..

وهرعت - على قدر ما استطعت - مع (بويرجا)
لترى ما حدث ..

ومن على رأينا في قاع الحفرة .. حفرة عمقها
ثلاثة أمتار غرست في قاعها أربعة رماح مصوَّبة
نحو وجوهنا ، وأدركنا أن الحفرة كانت مغطاة بطبقة

رقيقة من جلد حيوان ، ثم نثر الغبار فوقها على صعيد
الخداع .. إن أهل القرية لم يصنعوا هذا الفخ ..

كان حياً لكنه يئن نون لقطعاع ، وسألته مذعوراً :
- « هل أصبت ؟ »

- « لا .. ليس بأحد الرماح لو كنت تعنى هذا .. »
وأشار إلى سائله :

- « هذه مكسورة .. هذا واضح .. »

يا للكارثة ! والعمل ؟

قال لي :

- « لم يتغير شيء .. أنا هنا في أمان نسبي ،
ومسلح .. واصلوا البحث عن الوغد ، لكن كونوا
حذرين ! »

فكرت لشولن في كلامه ..

يبدو قاسياً أن نتركه هكذا ، لكنه حاليًا في أمان
نسبي كما قال ، ولن يكون ذا عون لنا لو أخرجناه ،
ثم إن محاولة إخراجه ستجعلنا في وضع واهٍ للغاية ..
وضع شبيه بالاحتضات الرهيبة التي تمرّ بها الزرافة
كي تشرب .. إنها تفتح أطرافها الأربعة ، وتلمس

الأرض ببطنها ، وتحنى عنقها للطويل ليلا مس الماء ..
عندها تغدو وجبة جاهزة سهلة لأي أسد حسن الحظ ..

قلت له وأنا أنفقت حولي :

- « ليكون .. لكن كن حذرًا .. لا تبرحن عينك للسماء
لهذا .. »

ودرت حول الحفرة مع (بويرجا) ..

سألته ونحن نواصل التقدم ناظرين إلى الأرض
طيلة الوقت :

- « هذا الفخ لم يصنعه أهالي القرية .. هه ؟ »

قال وهو يلوك أحد الجذور في عصبية :

- « بالطبع لا يا دكتور .. فخ نمور وسط قرية
حيث يمكن لأي طفل أن يسقط فيه ؟ »

- « إذن هو صديقنا الروسي ؟ »

- « طبعًا يا دكتور .. لقد قضى وقتًا لا بأس به
هنا ، وأظن هذا ليس الفخ الوحيد الذي أعده ..
للمشكلة هي أنه يعرف كل أساليب الفخاخ الإفريقية ..
وهو بارع حقًا .. »

وقطع عبارته فجأة ، وأشار إلى رقعة من التربة
بنت لي ذات لون يختلف عما حوله ..

في حذر مَدَّ (بودرجا) طرف البنطقة التي يحملها ،
وطرق بها على حدود الرقعة ، ثم ضغط أكثر ، فتهاوى
السقف للكانب وتصاعد الغبار .. لقد كان هذا شركاً
آخر ..

قال (بودرجا) :

« لا أدرى كم حيرة استطاع صنعها في هذا
الوقت .. لكن ربما كان العدد أكثر من لثنتين .. »

ورحنا نمشي بين الأكواخ الطينية ، نحاول ألا
ندوس على الجثث ، ومن حين لآخر يحلق طائر جارح
في وجوهنا فيثير دعرنا ..

كنا في موقف غاية في السوء ..

حملة بالغة هي أن نتوغل في هذا المكان المتشاك ..

حملة بالغة هي أن نواجه صياداً بارعاً مجنوناً
يمكن أن يظهر من أي صوب وفي أية لحظة ..

وكانت أسطح الأكواخ تمثل مشكلة أخرى .. ماذا
نوبرز من فوق رعوسنا في أية لحظة وأطلق طنقتين ؟

سك (بودرجا) وهو يتحصن الأرض بقوة بندقته :

« لماذا يفعل ذلك ؟ إن كان قد جن قليقتنا وينتهي

الأمر .. »

قلت ولما أنظر لأعلى في توتر :

« إن تفهم كل ما أقول يا (بودرجا) .. لكن الرجل

راغب في حملة للصيد الأخيرة في حياته .. لقد مارس

كل أنواع الصيد ، لكنه لم يجرب قط للفريسة الأكثر

ذكاء ومراوغة : الإنسان .. إن المكان كله شبيه بحقل

ممرحي ختامى لحياته للملأى بالمخاطر ..

« لقد اعتقد دائماً أن الموت حليفه ، وأن بينهما

معاهدة صداقة قديمة .. هو اليوم يريد وضع هذه

المعاهدة في أقصى اختبار لها ..

« هو يعرف أن نهايته اقتربت .. يشعر بهذا بكل

غريزة الأمد الجريح .. لكنه يكره أن يموت دون أن

يخوض آخر وأغرب تجربة صيد في حياته ، وما زال

يراهن على أنه سيظل حياً .. سيهزّ الموت رأسه له

في تهنيب وينصرف ، بمجرد أن يدرك أنه خصم قوى

واسع الحيلة ..

« اليوم تنزع المدينة ألقعتها ، ويقدر الجنون لسم
اللعبة ، وكل هذه المتعة تقدمها له بون مقابل ..
» لماذا - بالله عليك - يفسد كل هذا بأن يطلق
علينا الرصاص الآن ؟ »

هز (بودرجا) رأسه في عدم فهم ..

إن عقل الممرض الكاميلونى البسيط لا يفهم هذا
المزاح ، ولا هذه الحيل الوسطى .. الأبيض أو الأسود ..
القتل أو عدم القتل .. أما أن يضيع هؤلاء السادة
الأثرياء والقوالب وقتهم فى هذه الألعاب الميتافيزيقية ،
فأمر لا يفهمه ، ولا يفهم دوره فيه ..

ثم توقف عن أفكاره ، وأشار لى ..

نظرت إلى حيث أشار فوجدت جثة مستندة إلى
باب كوخ .. جثة مألوفة للملاح إلى حد ما ..

كان هذا هو سائقنا للبئس .. أول من مات حين
تطلقت الرصاصات من أسفل لتخرق السقف ..

وفى صدره وجدت ذلك الثقب القبيح الدامى ..

لقد أنزله الروسى من أعلى ، وأرقد هنا ..

قلت له (بودرجا) :

- « تعمل نرحه بالداخل .. إن مكانه هنا يجعله
فرصة سهلة للضباع .. »

لكن (بودرجا) لم يبدُ متحمسًا .. كان ينظر لأعلى
مفكرًا ..

ثم أشار إلى حبل ليقى يتصلق للجدار جوار رحوسنا
نحو السقف .. طرف الحبل يختفي تحت الجنة ..

قال (بودرجا) وهو يجنب نراعى :

- « قديمة .. هذه من حبل (الباميليك) الشهيرة ..
ارفع الجنة واسوف ينزلق الحبل إلى أعلى ويسقط
الشيء الموجود على سطح الكوخ فوق رحوسنا ! »

- « وما هو ذلك الشيء ؟ »

- « بالطبع عش من الدبابير المعلمة القاتلة هكذا
يفعلون ! لماذا تعتقد أنه غير الأسلوب ؟ »

★ ★ ★

١٠ - والفريسة ..

هكذا - ببساطة - تحول الأمر إلى صراع بين عقليين .. عقل (ميشكا) الذي يعرف كل شيء عن نصب الفخاخ ، وعقل (بودرجا) الذي يعرف كل شيء عن تفاديها ..

ودوري أنا ؟ لا دور لي ..

كل ما عليّ هو أن التصق بـ (بودرجا) ولا أفارقه لحظة ، وإلا فأقول لي ..

★ ★ ★

كان هناك أسد جريح يرقد على الأرض ..

فقط رفع نصفه الأمامي لأعلى ، وراح يصدر زئيراً دامياً يمزق نياط القلوب .. لما نصفه الخلفي فلم تعد له علاقة به ..

الوحش المهيب عاجز تماماً ، والسبب طلقات مزقت ظهره ..

هل فطها (موشكا) أم رجال الرائد (جيتاسب) ؟
لا أدري .. لكنى على كل حال أغضت عيني وضغطت
على أسناني وأعصيت ، وأفرغت بضع طلقات فى
رأسه ..

حين فتحت عيني كان جثة هامة مستريحة ، وكان
(بولرجا) يقول لى لالما :

« لماذا فعلت ؟ هذه الطلقات تحدد مكاننا بدقة .. »

« كان هذا أقوى منى .. يجب على من يقتل أن
يحسن القتلة .. »

لم يرد ، ومشينا صامتين نمشط المكان ..

المشكلة هى أن (موشكا) لم ينتق خصومه بدقة ..
كان عليه اختيار رجلى عمليات خاصة ، يتسللان
كالأنفاس ، ويطلقان الرصاص كالبراكين ..

لكننا كنا خصمين مثيرين للشفقة بحق .. كئلتين
من لعدم الكفاءة ونقص الخبرة ..

كلا .. ليس فى قتلنا أى نوع من البطولة ..

ليس فيه أى نوع من المجد ..



لكنى عسى كل حال أغمضت عيني وضغطت على أstenائي
وأعصابي ، وأفرغت بضع طلقات في رأسه ..

من جلد صاحب (بودرجا) :

« انتبه ! »

لكنه كان قد تأخر قليلاً ، فلم أدر إلا به ينقى بي
على الأرض ويتمرغ جانباً ، وسمعت جنبه عالية كأن
حبلاً ينهار فوق رأسنا ، وحين نظرت لأعلى فهمت
ما هناك ..

جذع شجرة غليظ مقطوع يتأرجح من حبلين ليفيين
معلقين من شجرتين .. كان هناك جهاز معقد من فروع
الأشجار يشبه الزناد على الأرض ، وتكفي لمسة واحدة
له كي تبدأ تقنية منطوية مثل تقنيات (توم وجيرى) ..
غصن ينزاح .. صخرة تسقط .. جذع للشجرة الموضوع
في زاوية حرجة يسقط من موضعه ليطير رأس الأحمق
الذى داس على الزناد ..

قلت وأنا بعد على الأرض :

« إنه عبقري ذلك اللوغد ! »

قال (بودرجا) وهو ينهض :

« كلا .. هو لم يخترع هذه الأشياء .. إنه بارع

فقط في استخدامها .. »

- « وكم تقطن عند الحيل التي نثرها في هذه
القرية ؟ »

- « ما يمكنه وضعه في اثنتي عشرة ساعة .. منذ
تركنا القرية وحتى عدنا إليها .. »

وتهضت على سائقين ترتجفان ...

ما زال (بويرجا) بارعاً قوي الملاحظة ..

لكن ماذا لو فقدته في حادث أليم ؟

★ ★ ★

والمشكلة الأدهى كانت أن الشمس بدأت تتحدر
غرباً ، كأنما ملّت هذه الأعاب العسجة .. تشاعت
وقررت أن تنام ..

على كل حال سيجعلنا الظلام متعادلين في الغالب ،
لأن الروسي مهما كانت براعته لن يستطيع الرؤية في
الظلام ، ولم تكن نظارات الأشعة تحت الحمراء ضمن
عتلنا ..

لعل الليل يجعل موقفنا أفضل قليلاً ..

الحقيقة هي أنني لم أتخلص حتى الآن من الشعور

المرهق بأنه يرى ويتابع كل شيء ، وبمصر منا في
الآن ذاته ..

وجدنا الحفرة الثالثة ، لكنها لم تكن مغطاة ..

قربت رأسي منها ، فتعالى زفير مروّع ..

دنوت أكثر فاستطعت أن أرى ثلاثة ضباع بالداخل
- في القاع - تتوثب محاولة للوصول إلى ، والزبد
يتطاير من أشداقها ..

يا لبشاعتها ! وجوه كوجوه الشياطين في الظلام
لا تكف عن التكشير عن الأكواب .. ورائحة أنفاسها
الكريهة ترغم الأنوف ..

واضح أن هذه الوحوش لم تتوقع وجود شرك
كهذا في لقاء جولتها الاستكشافية بين الجثث ..

كنت أنهى عذابها ببضع طلقات ، ثم خشيت أن
أكرر ذات الخطأ الذي ارتكبته مع الأسد ..

ترجعت بظهري إلى الوراء ، وواصلت المشي مع
(بولرجا) ..

وفجأة صاح (بولرجا) :

- « هذا هو ا »

وأطلق دفعة من بندقيته الآلية باتجاه الشمس
للغاربة ، فنظرت إلى حيث أطلق فلم أر شيئا ..
قال مفسرا :

- « لقد كان هناك .. يعبر ما بين كوخين .. ترى
هل أصبته ؟ »

- « تعال نر .. »

- « ولكن لتمش بحذر .. ربما كان هذا كميناً آخر .. »
ومشينا .. واحد منا يرمى الأرض ، بينما الآخر
يرمي السماء في توتر .. كانت هناك قدر طعام كبيرة
مقلوبة ، وتار هلمدة ، وامرأة لم تترك الضياع منها
الكثير ..

وهناك ما بين الكوخين وجدنا قطرات دم طازج
على الغبار ..

لقد أصابه (بودرجا) لكنه لم يقتله ..
ربت يدي على كتفه مهنتاً :

- « هي خطوة لا بأس بها .. »

قال دون زهو :

« لا أراها كذلك .. إنه الآن أكثر خطراً وشراسة ..

هذا هو كل شيء » .. »

« لكنه سيرتكب أخطاء .. لن يظل معصوماً كما

يبدو لنا .. إن صفاء عقله ينزف مع قطرات الدم هذه .. »

ومشينا دون أن تنفلق عيوننا للتربة ..

إن قطرات الدم تقوينا نحوه دون ريب ..

وفجأة توقفت القطرات ..

غريزيًا برت حول نفسي ، وصوبت البندقية إلى

أعلى متوقعًا أن يثب علينا في أية لحظة ، لكنه لم يكن

في مجال بصري ..

وقال (بويرجا) وهو يتأمل بدقة :

« لقد لاحظت الدم ، وعاد أدراجه محاولاً أن يترك

نفس الأثر .. قطرات دمه عند العودة تسقط جوار

قطرات دمه عند الذهاب .. اعتقد أننا مررنا بموضعه

دون أن نلاحظ .. »

وهكذا فرنا حول أنفسنا ، وعنا نتابع آثار السماء
بطريقة عكسية .. مشينا نحو عشرين مترًا حين وجدنا ..
وجدنا جثة للفأر الذبيح ملقاة هناك بعدما استنفدت
لماؤها ..

لم يكن هذا لم الصياد إذن .. ١
كانت لعبة فلسفية أراد بها أن يجذبنا إلى هناك ..
إلى هذا الموضع بالذات ..
ولماذا ؟

في اللحظة التالية هوت كتلة هائلة الحجم فوقنا ..
وثب كل من إلى جانب ، على حين تتلذذت الصخور
في كل اتجاه .. وأدركت أنها صخرة تم دفعها من
أعلى .. إلى حيث كان الرجل يعرف جيدًا أننا قادمان ..
لم يصب أحدنا ، لكنني شعرت بأننا نقاتل وحشًا
استطوريًا لا يمكن القضاء عليه ..

رحنا نركض بين الأكواخ دون نظام ، ونحن نرمى
الأرض والسماء في تلقى .. إن الركض بساق مضعدة
لمشهد بشير الشفقة ..

كان صوت الخطوات الحقود للمصرة على الإيذاء
من خلفنا ، وأدركت أن مباراة الصيد توشك على
نهايتها ..

هذه المرة سيصوب .. وسيصوب بهراعة ..
أخيراً وجدنا أنفسنا واقفين قرب الحفرة بإها ..
الحفرة التي سقطت فيها للضباع ..

كان الليل قد بدأ يلون القرية بفرشاته الزرقاء
الحزينة ، وخطر لي أن أول لقاء سيكون آخر لقاء ..
كل شيء يوهى بالنهاية .. مالم ..

همست لـ (بولرجا) :

- « فلتتوار بين الأعشاب الآن ! »

- « ولكن .. »

- « افعل كما أقول .. »

ورفعت عقيرتي وأطلقت صرخة رعب ..

صرخة إنسان يسقط في فخ ، ويحاول أن ينتشل
نفسه من براثن الكابوس ..

ثم دفنت رأسي بين الأعشاب ، وانتظرت ..

وفي هذه المرة حدث ما توقعت ..

من الظلام الذي بدأ يتوغل ؛ برز لنا الجسد
للعملق للرفيق (ماكسيم إيزاريوفتش منكوف) ..

كان قد استكمل تحوله إلى وحش آخر .. نوع من
الضواري لم يحم (لينبوس) بتصنيفه بعد ..

الرأس الأصلع يلتصق في الظلام ، والعضلات
المهالة بالعرض ، وفي يده بندقيته ، وفي اليد الأخرى
خنجره ..

كان يتقدم في تودة كمن لا يرى ضرورة للعجلة ..

يتقدم ليرى ضحيته للتين سقطتا في الشرك ..

ظهره لنا .. يقف على حافة الحفرة وينظر لأسفل ..
ينقش النظر .. أستطيع أن أرى وجوه الضباع الكئيبة
إذا تحاول الوصول له ، لكنها لا تقدر ..

لم أترك له فرصة الالتفات للوراء فالحذر ..

حتى النمر يمكن خداعها أحياناً ..

ضفطت على زناد بندقيتى الآلية ، وكذا فعل
(بودرجا) فتطلق سبل من الطلقات باتجاه الرجل ..
لن يموت ..

مستحيل أن يفعل ..

لقد اتفقت بينه وبين الموت معاهدة سلام أبدية ..
سيستدير ويمشي نحونا ، ليهشم عنقنا بيده
العارية ..

لكنه خيب أملى أو خيب سوء ظنى ..

ترنح ورفع ذراعيه لأعلى ..

ثم هوى كالصخرة فى الحفرة ..

ودوت أصوات مخيفة من الداخل ، لأن الضباع
الرقطاء لا تمزح ، ولا تحب من يسقط عليها من
أعلى حتى لو كان صيادا روسيا ..

أصوات مخيفة سرعان ما استحوطت فقهة مادية
مروعة ..

★ ★ ★

قلت لـ (بودرجا) وأنا أنهض ، وكل عضلة في
جسدي ترتجف :

- « هل تعرف كيف تقود سيارة ؟ »

ابتسم في مرارة ، وساعني على النهوض :

- « سأحاول يا دكتور .. أعدك أنني سأحاول .. »

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

الخاتمة

لم تكن رحلة العودة قصيرة ..

كان كل واحد منا يشكو من طرفيه السفليين ، لكن
(هورجا) استطاع - بمعجزة ما - أن يقود السيارة
مسترشدا بتعليمات (أندرسن) ، وأشهد أن قيادته
كثت أفضل من قيادة (أندرسن) نفسه ..

لكن الملاحظة الصحيحة التي أداها وهو يقود ،
هي أن الحيوانات صارت نكرة ، وبدأت تستعد طبعها
الخجول من جديد ..

أذكر أننا قابلنا أسرة من الأسود ، وتوقعنا مطاردة
عنيفة ، لكن الحيوانات ظلت حيث هي تتأهب ، مفضلة
الرقاء في شمس النهار الوليد على الركض خلف
سيارة مسلحة ..

وفي مرة قابلنا فيلين وقتنا يرمقنا في ملل ، ثم
واصلنا رش الغبار على جسديهما ..

يبدو أن الجنون قد بدأ يحمل عصاه ويرحل ..

وقال لي (أندرسن) وأنا أثبت له الجبيرة :

- « نحن لن نعرف ما حدث إلا لو عدنا .. لكن لئلا كان
فمن الواضح أنه انتهى .. »

ونظر إلى السهول الممتدة أمامه وبأسي قال :

- « تحتاج هذه المناطق إلى فترة طويلة نسبياً
حتى تكفكف دموعها ، وتلق جراحها .. »

حين عدنا إلى (سافاري) شعرنا كأننا ثلاثة من
(الزومبي) يدخلون قريتهم ، فيلقاهم الناس بمزيج
من ذهول ورعب ..

وبعد العناية بنا ، وتبادل الأخبار ، قال (بارتلييه) :
- « إن الأتباء قد عادت ، ومن الواضح أن الكارثة
تنتشر من البلاد كلها .. »

- « وما سببها ؟ »

- « لقد حدثت ثورة بسيطة ونشاط بركاني في
(ماونت كامبرون) ، لكن الأمر لم يصل لحد الانفجار ..
» سيكون علينا معرفة سبب النشاط الهائج الذي

اعتري الوحوش والبشر ، وهل هو بسبب التسمم
بـ (ثلثي أكسيد الكبريت) أم بسبب (اضطراب التوتر
الحلّ) .. لكن تاريخ البراكين لا يخلو من قصص مقلّة :
« لقد هدا البركان من جديد ، ويتوقع خبراء البراكين
أن القصة قد انتهت عند هذا الحد .. »

« إلا أن ما حدث يفتح بابا جديدا مثيرا للدراسة ،
واتوقع أن (باوندى) تعجّ الآن بخبراء للبيئة وخبراء
علم الأحياء .. »

سأله (أندرسن) فى ضيق :

- « معنى هذا أن رحلتنا إلى (لاملوا) كفت بلا داع ؟ »
- « للأسف يلبنى هذا صحيح .. لكننا لانعرف للغيب ،
وما كان بوسعنا أن نجد سبيلا آخر للخلاص .. كيف
كنا نتوقع أن الكارثة ستنتهى بعد قليل ؟ »

فى فخر قال (آرثر شيلبي) :

- « قلت لكم إن (الإنتروبى) هو طبيعة الكون ..
كل شيء مصيره إلى الخمود والزوال والانهاء ..
لوتذكرتم كلماتى لو فرتم على أنفسكم ساعت لشد
مولدا من الجانب الآخر للقمر .. »

ومضغ سيجاره فى استمتاع :

- « (الإنتروپى) .. هذا هو تاموس للوجود .. »

★ ★ ★

لم يكن (ماونت كاميرون) بالاستقرار الذى
وصفوه ..

وقد لاحظ خبراء البراكين نشاطاً (مبزمياً) لا يبعث
الاطمئنان فى النفوس .. هذا بركان نشط ، وصمته
يتر بالويل ..

متى ينفجر ؟ ما تأثير الانفجار للتلى ؟

أسئلة كنت أتمنى الإجابة عنها ، لكنها لا تهمنى هنا
فى (سفارى) .

د . علاء عبد العظيم

أنجاوانديرى

★ ★ ★

سافاري

مخاضات طليبي، شارب بحمانه

الكي يظال حيا وكي يظال طليبيها

روايات
مصرية
الحبيب

أرض الجنون

هكذا كان يقف ، تلتصع صلعته في ضوء
الشمس ، يلوح بالبندقية في يده اليمنى ..
وكما اعتاد دوماً طوح بذقنه للوراء وصدره
للأمام مقلداً (موسولينى) .. بدا لنا في
وقفه عكس الشمس أسطوريا .. الموت
نفسه وقد عماد كتب الأساطير القديمة
ووقف ها هنا ينتظرنا . ولن نقرّ منه مهما
حاولنا .



د. أحمد خالد توفيق

www.dvd4arab.com
Hany3H

العدد القادم

تسنى تسنى ..

المؤسسة العربية الحديثة

مركز الدراسات والبحوث

مركز الدراسات والبحوث

مركز الدراسات والبحوث